A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

823.33
S52fomA

مقدمة

رغب إلىَّ جورج افندى أبيض صاحب الفرقة المعروفة الآن باسمه ، فى ترجمة هذه القصة ، فترددتُ زمناً ، ثم أتيح لى أن رأيتهُ يمثّل تجربة من « أديب » فأعجبنى إتقانه و إتقان بعض أعوانه واستخرتُ الله فى نقل عُطَيل إلى لغتنا الشريفة .

فلأذكرْ أولاً ما دعانى إلى اختيار اسم عطيل ردًّا على بعض المعترضين .

كان عُطيل فى زعم القَصَّاص الذى نقل عنه شكسبير أصل هذه الحكاية ، بدويًّا مغربيًّا جلا إلى البندقية وخدم فى جيشها حتى أصبح قائده الأكبر ، وعقيده فى المِلَّات . والمغاربة يومئذٍ خليط من العرب والبربر المستعربة . فأما أن يكون قد دعى منذ مولده باسم أفرنجى فغير محتمل ، وأما أن يكون قد دعى باسم عربى حرَّفته العجمة ، فهو الأصح عقلاً . فإذا رددنا أو تلَّلو إلى لسانهِ الأصلى ، فالذى يستخرج من حروفهِ أحد اثنين : عطاء الله أو عُطيل . فأما عطاء الله فلم أتوصل إلى تحقيق أن مغربيًّا واحداً سمّى به ولهذا ضربتُ عنه صفحاً ، وأما عُطيل فقد اعتقدت أنه الأخلق بالاختيار لسببين : أحدهما أنه أشبه بما جرت عادة العرب على تسمية الزنوج به من ألفاظ التحبب أمثال مسعود

ومسرور وزيتون ومرجان للذكور ، وخيزران وضياء للجوارى . ومعلوم أن عُطيلاً تصغير تحبّب لصفة عُطْل بمعنى عاطل أى خلوٌ من الحلية فتسمية أحد الزنوج به إنما هى محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب . وثانيهما لأن « عُطيلُ » بضمّ أوله ورفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب إلى أوتللو من كل اسم سواه .

بقى فى هذا الصدد أن أقول مروراً للذين تمنّوا لو أبقيت اسم أوتللو كما أورده المؤلف ، إننى لم أوافقهم على هذا لأننى كرهت أن أُثبت فى العربية اسماً من أسمائها على الرطانة التى حرَّفتهُ إليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التى اكتسبها على تلك الصورة ، فى حين أنهُ لا يتعذَّر إكسابهُ مثلها وهو مردود إلى أصله التقديرى أو التحقيقى من غير أن نسوم مسامعنا جراحة تحريفهِ . ذلك ما أوحى إلىَّ اليقين أنهُ خير وأولى .

بعد هذا التفسير الذى تقاضتنى إياه بعض الصحف ، ونفرٌ من الأصدقاء ، أرجع إلى الرواية ولى فيها مبحثان موجزان ، من جهة الأصل ، ومن جهة التعريب .

* * *

أما من جهة الأصل فأقول إن واضع هذه القصة إنما هو نابغة الأدهار فى فنهِ وأعنى به شكسبير . وضعها لإظهار الغيرة وتأثيرها فى الرجل

بأقوى وأصدق ما دلّ عليهِ الاختبار من أمرها ، ولذلك اختار عاشقاً إفريقيًّا بدوى الفطرة — ليكون وثّاب الشعور عنيفه — عسكريّ المهنة — ليكون سريع التصديق والانخداع — مكتهلاً أى فى أوّل الانحدار من سنّ الأربعين — ليكون أشدّ فى التعشق كما هى شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب وليكون أيضاً فى الحالة التى يتهم فيها الإنسان نفسه بفقدان أكثر الخلال التى يقتضيها الغرام ولا سيما حينما يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس الحروب ، والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الأخلاق مترفين .

ذلك هو الغرض الأساسى العام الذى رمى إليه شكسبير فأصاب به دقائق الحقائق إصابة كانت فى جملة ما حمل أكابر المفكرين وأعاظم الكتبة على الشهادة له بأنه أخبر خبير بخفايا القلوب ، وأمهر كشاف لخباياها .

ثم إنه أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين : أحدهما إثبات أن العفة لا تنتفى من مدينة مهما فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة بين جيرتها وفى عشيرتها ، والثانى تبيين الاحتيال ونهاية ما يبلغهُ من نفس رجل ذكى مطاع خسيس أصمّ الضمير ، مستبيح كل محرم ، مستهين كل منكر فى سبيل غايته .

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة فى ألوف الجزئيات التى

تؤدى إلى تصوير الغرض الكلى والغرضين الملحقين به ؟ ذلك ما يقف عليه القارئ أول وهلة من مطالعته للقصة فإنهُ يشعر قليلاً قليلاً أن الأسماء تمحى و يستبدل بها أشخاص مقوَّمون فى أصلح تقويم لكل منهم . و يدخل متدرجاً من الوهم فى الحقيقة فيرى وهو يسمع و يسمع وهو شاهد مَشاهد مما ألفهُ فى الحياة لا يردّه إلى كونه قارئاً سوى انتهائه إلى دفة الكتاب .

ومن جهة هذا التصوير الأخَّاذ الذى يصوّر به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقاد أن ذلك الأستاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يجاوز معها الحدود التى يرسمها الفن . صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود ، وهل مثل العقل الذى رُزِقَهُ كان مما يقيد بقيود ؟

الشاعر الذى افتتن « فكتور هوجو » بغرابة شعره ، ووجد عند فراسته وطلاقته وقوَّة تمثيله للمعنويات بالحسيات ، مبدأ المذهب الحرّ الذى ذهب إليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنَّة الكتاب فى العالمين .

الكاتب المنقّب المتعمق فى مظاهر الخلائق ومضمراتها مع قدرة على المحاكاة ومهارة فى الاختيار و براعة فى التأليف وسلطة على اللفظ يستدنى به أبعد المعانى و يقيد أوابد الوجدانات ، الذى أُعجب به المؤرخ الفيلسوف « تاين » وناهيك بألوف المعجبين غيره من قبله ومن بعده .

الأديب الذى تترجم مكتوباته على وفرتها إلى كل لغات الدنيا ،

وفى بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات وتتنوع ويجيز أحاسنها المجمع الأدبى الأكبر كما أجيزت ترجمة «مونتيجو» و«ليتورنور» وغيرهما فتطلع الأمم المختلفة الألسنة والأجناس والأذواق والملل والنحل على مكتوباتهِ سواء فى أصلها أو فى غير أصلها ، وتقرّها فى أعلى منزلة عندها لجمعها المُذهِب والمطرب إلى المفكه والمفيد والمبكى والمضحك إلى الزاجر والمؤنس .

أهذا الذى يُطلب منه أن يكون أسير اصطلاح وعبد لفظة ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها ؟

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمَّا فعل . ولو أبقاه فى عنقه لما اشرأبَّ صعداً إلى مناجاة أجرام السماء ، ولا أطاق الإكباب إلى أبعد أغوار الأسرار فى الطبائع البشرية .

من ذلك المنجم العظيم نجمت « عطيل » وهى إحدى آيات مستخرجاته ولما كنت أعهده فيها من نادر المزايا وجدتُ من كافى بها معواناً على معاناة تعريبها .

فأما من جهة التعريب فأقول إن فى نفس شكسبير شيئاً عربيًّا بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان فى نفس فكتور هوجو . أقرأ لغتنا أم نُقلت إليه عنها بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا أعلم . ولكن بينه و بيننا من

وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فإن عنده مثل ما عندنا جرأة على الاستعارة وذهاباً بضروبها فى كل مذهب ، وله مثل ما لنا كلفٌ بالتنقل الوثبى من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد إلى القصد وشيكاً وعليك أن تتمهل فى فكرك وتجد الرابطة ، وبه مثل ما بنا من الهيام فى المبالغة التى لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين فى تصوُّرهم حدَّة وجماح كما يكون عادة عند الشرقيين وخصوصاً عند العرب . وعلى الجملة ففى كل ما يكتبه شكسبير شىء من روح البداوة قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرة .

تناولتُ الرواية لأعرّبها وكأننى أنوى ردّها إلى أصلها كما رددتُ اسم عطيل وقبل أن أشرع فيها تفكرت فى الأسلوب الذى أختاره لها .

أهو ذلك الأسلوب المخرّق الذى تشف الفصاحة فيه عن رقع العامية ؟ لا وألفاً لا .

فتالله لو ملكتُ تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلى إياها إلا منتقماً لمجد فوق كل مجد ، نزلتْ من هيكله الذهبى الخالص الرنان منزلة الرجلين الخزفيتين القذرتين فهوفوقهما متداعٍ وبهما مشوَّه ؛ منتقماً لأمة كسرت العامية وحدتها وكانت عليها أكبر معوان للتصاريف التى مزّقتها فى الشرق والغرب كل ممزق ؛ منتقماً للفصاحة نفسها وأية فصاحة فى خُشَارة لا تصيب فيها تبر الأصل إلا وقد تلوَّث بذريرات لا تحصى من أوضار الرطانات بأنواعها .

بُعداً لهذا الأسلوب إذن ! ولنختر غيره ... أنؤثر الأسلوب الجزل المتين القديم ؟

لا ولا ! لأن الروايات إنما تكتب ليفهمها القوم ويستفيدوا منها مغزى بجانب التفكهة . أفنعكس عليهم تلك السنَّة الشريفة التى سنها النبى القرشى بقوله : أمرتُ أن أخاطب الناس على قدر عقولهم .

بعد هذا وذاك لم يبقَ إلاَّ الأسلوب الوسط وهو الذى تكون بمقتضاه الألفاظ كلها فصيحة لكن سهلة ، وتفكك الجمل تفكيكاً يقرّب مدلولاتها من الأفهام بمحاكاته لفنون المحادثات المستجدة من غير أن يفوتنا الالتفات فى ذلك التفكيك إلى أشتات ما صنع أدباء العرب من مثله لدواعى حال مخصوصة وإن لم يألفه جمهور الكتَّاب الاحتفاليين .

هذا هو الأسلوب الذى آثرتهُ وأرجو أن أكون قد وفقت فيهِ بعض التوفيق ، فتجتمع معه لهذه القصة مزيتان : إحداهما أنها تكون عربية فصيحة لولا الأعلام ولولا تشقيق الكلِم على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديماً وحديثاً ، والثانية أنها تمثل أقوال شكسبير حرفاً بحرف ولفظةً بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الدينى أو الاجتماعى الذى لها عند القوم الممثَّلين فيصحُّ أن تكون هذه التجربة مثالاً للتعريب يحتذيه طلبة المدارس .

خليل مطران

أشخاص الرواية

دوق البندقية

برابنسيو — أحد الأعيان

أعيان آخرون

غراتيانو — أخو برابنسيو

عُطَيل — مغربى شريف قائد جيوش فى خدمة البندقية

كاسيو — ملازمه

ياجو — حامل علمه

ردريجو — وجيه بندقى

منتانو — سالف عطيل فى ولاية قبرص

مضحك وخادم لعطيل

منادٍ

ديدمونه — بنت برابنسيو قرينة عطيل

إميليا — زوجة ياجو

بِينكا — خليلة كاسيو

ضباط ووجهاء ورسل وموسيقيون وملاحون وخدم إلخ

المشهد الأول يجرى فى البندقية وسائر المشاهد فى مرفأ من مرافئ قبرس

الفصل الأول

المشهد الأول

فى البندقية — طريق

يدخُل رُدريجو وياجو

رُدريجو : كفى كفى . لا تخاطبنى عنه بعد الآن . أنا آسف جدًّا لأنك تَنَسَّمْتَ خَبر هذه المسألة يا ياجو . . . وأنت أنت الذى بددتَ ما شئتَه من مالى وصرّفت يديك فى نقودى كأنها من حُرِّ مالك .

ياجو : العجب أنك لا تريد أن تُصْغِيَ إلى كلامى ولعمرى لو أَنَّنى فكرت مرة فى خديعتك لكان لك أن تمقتنى كل المقت .

ردريجو : قلت لى إنك حانق على هذا الرجل .

ياجو : إذا لم يكن ذلك حقًّا فلا كانت لى كرامةٌ عندك . ثلاثة من كبراء المدينة سَعَوا وتوسلوا إليه ليجعلنى

ملازماً له . وبحق الرجولة إننى لأعرف قيمة نفسى وأعرف أننى كفء لتلك المنزلة . أما هو فإنه لم يصغ إلَّا إلى مَشُورَةِ كبريائه وإيعاز ما سبق إلى وهمه فتخلص من إجابة سؤلى بعبارات منفوخة مشحونة بالألفاظ الحربية ختمها بقوله للموصين بى « لقد اخترت ملازمى » ومن هو ذلك الضابط ؟ الله الله . . .

هو حسّاب ماهر . . . يدعى ميشيل كاسيو . رجل فيورنتى . . فتى ذهبتْ بلبه النساء الحسان ولم يُسَيِّرْ قَطُّ كتيبةً فى مُعْترك ولا يعرف من تدبير واقعة أكثرَ مما تعرف الفتاة العانِسُ[1] اللهمَّ إلَّا من جهة العلم النظرى المستظهرِ من الكتب وهو علم يحسنه القساوسة كإحسانه إياه فجملة معرفتِهِ العسكرية ثرثرة محض بلا عمل . ذلك يا سيدى هو الذى وقع عليه اختيار القائد بصرف النظر عما أبليته أنا من البلاء الحسن فى رودس وفى قبرس وفى أمصار أخرى

---

(١) التى كبرت ولم تتزوج

Othello

مَسيحية ووثنية . . يَسُومُنى[1] قبيحَ الصبر على هذا التأخير ويُقدِّمُ علىَّ من فوق رأسى ذلك المدوِّنَ الرقّامَ الكاتبَ الصَّيْرَفى . يتخذه ملازماً له وأنا — حمدًا لله وسرورًا بهذا اللقب — أبقى حامِلَ علَمٍ لسيادته المغربية .

Iago

ردريجو : تالله لو كنت مكانك لأصبحت جلّاده .

ياجو : داء لا دواء له وهو من آفات الخدمة . الرقى يُنال بالوَصاةِ والصَّداقة لا بالسَّبْقِ الزمنى الذى كان ينبغى بمقتضاه أن يُجْعَلَ كلُّ ثانٍ خلفاً للأول . . بعد هذا يا سيدى أعْمِلْ رأيك فيما إذا كان يسعنى أن أحب ذلك المغربى .

ردريجو : لو نالنى منه ما نالك لما تبعته .

ياجو : حلماً يا سيدى وهدوء بال . إنما أَتْبَعُهُ لأنتقم منه . لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة ولا طاقة لجميع السادة أن يجدوا خدماً أمناء . . إنك لَتُلفى[2] بين

---

(١) يكلفنى . (٢) تجد .

أولئك الخدم غيرَ واحد من البُـلْهِ الخانعين ذوى الركب اللَّيِّنَةِ يُعْجِبُهُم رِقُّهُم الثقيل فَيُفْنُونَ أعمارهم على شاكلةِ الحمير التى تُرهَقُ[1] بالأحمال حتى إذا بلغوا من السن عِتِيًّا طُرِدُوا بضرْبِ السِّيَاطِ طرْدَ المجرمين . غير أنه يوجد أيضاً بين الخدم أناسٌ غيرُ أولئك يظهرُونَ بكل مظاهر الطاعة ويستعيرُونَ كلَّ أشكال الرعاية لكنهم يصونون ضمائرهم لخدمة أنفسهم ومع مايُبْدُونَهُ من الامتثال لِوُلاتهم يوجهون مساعِيَهم لقضاء مآربهم حتى إذا وَشَّوْا ملابسهم بالذهب حَبَسُوا تكرماتِهِمْ على ما اكتسبوه من رفعة القدر . أمثال هؤلاء لهم بعض النفوس وأجهر أننى واحد منهم . بل أزِيدُكَ يا سيدى تصريحاً عن حقيقة لا تقل عن حقيقة كونك ردريجو وهى أننى لو كنت المغربى ما أردت أن أكون ياجو فإذا اتبعته فإنما إياى أتبع ويشهد الله أننى لا أوقّره

(١) تحمل فوق طاقتها .

ولا أطيعه غيرَ أنى أُداجيهِ بالتّوْقيرِ والطاعة توسلاً بهما إلى أغراضى . هذه خُطَّتى وهى الكتمان فإذا جاء زمان باح فيه ظاهرى للرجل ببعض ما فى باطنى لم ألبث أن أضع قلبى على رُدْنِ قميصى لِتَنْقُرَهُ الحِدآتُ[١] الخواطف . أنا غير ما يُرى منى .

رودريجو : إننى لأستعظم على ذلك الأسود الوبرى ما يقع إليهِ من السعد الذى لا يُدَانيهِ سعد فيما لو حصل على تلك الغانية أو حظِىَ بقربها .

ياجو : نادِ أباها . . أيقظه من نومه . . ناوئ ذلك المغربى . . دسّ السم فى هناءته . . اجهر باسمه فى الأسواق . . استشط على الفتاة أهلها . . . ثم أيًّا كان المرتع الخصيب الذى يحلُّه ذلك الرجل فاقتله بذبابه ومهما تكن سعادتُه هى السعادةُ بحقيقتها فأدركه بالوخز والمضايقة حتى يَمْتَقِعَ[٢] فى عينيه لونُها الزاهى ولو قليلاً .

---

(١) الطيور المعروفة عند العامة بالحدّايات (٢) يتغير إلى اصفرار .

ردريجو : هذا بيت أبيها . سأناديه صادعاً[١] .

ياجو : افعل واجعل نداءك رهيباً مستطيلاً مع حزن كما يكون فى ظلام الليل وأمن الراقدين صَوْتُ الذى يستكشف النار فى مدينة كثيرة الأهلين .

ردريجو : يا هو . يا من هنا . برابنسيو . سنيور برابنسيو .

ياجو : استيقظ . يا هو . برابنسيو . اللصوص اللصوص . ارْقُبْ بيتك . بنتك . أكياسَك . اللصوص اللصوص .

برابنسيو : ما الموجب لمناداتى بهذا الصَّخَبِ المُرْعب ؟ ما الخبر ؟

ردريجو : هل كل أهل بيتك فى البيت يا سيدى ؟

ياجو : هل أبوابك مقفلة بإحكام ؟

برابنسيو : لمَ هذا السؤال ؟

ياجو : السؤال يا سيدى لأنك سُرقتَ . سرق منك شرفك . البَسْ رداءك . إن قلبك قد كُسِر وإن شطرةَ روحك قد فُقِدَتْ . أنا أكلمك وفى هذه الساعة بل فى هذه الدقيقة فحل عجوزٌ أسودُ يغشى نعجتك البيضاء .

---

(١) بصوت عال .

انهض انهض . أيقظ على قرع الجرس أهلَ المدينة النائمين وإلَّا استولدك الشيطان حفيداً . انهض انهض . إنى حذرتك . .

برابنسيو : ما هذا الهذيان أَمَجَانِينُ أنتم ؟

ردريجو : يا سيدى الجليل أتعرف صوتى ؟

برابنسيو : لا . . من أنتَ ؟

ردريجو : أنا ردريجو . . .

برابنسيو : لا أهلاً ولا مرحباً لقد طالما حذَّرتك مِن ارْتِيادِ أبوابى وأبلغتك بصراحة أن ابنتى ليست لك والآن بعد أن ملأت جوفك وأفرغتَ فيهِ ما لا يسع من الكؤوس حتى أصابَك المَسُّ[1] جئتَ بهذه المكيدة السيئة توقظنى من نومى مرتعداً .

ردريجو : مولاى . مولاى . مولاى .

برابنسيو : لكن ثق أَن فى خُلقى وفى مَجْدِى ما يمكّننى منك فتندم .

ردريجو : تلطف يا سيدى الرحيم .

---

(١) ضربٌ من الجنون .

برابنسيو: ما تلك السرقة التى تذكرها لى . نحن فى البندقية ومنزلى لَيْسَ بَعْضَ الأَهْراءِ فى الخلاء .

ردريجو : يا عظيم الوقار برابنسيو لقد جئتك بقلب صاف وضمير لا كَيْدَ فِيه .

ياجو : أنت يا سيدى من الذين لا يَخْدُمُونَ الله لو نهاهم الشيطان عن خدمته. ألا أننا جئنا نسدى إليك معروفاً وأنك ظننتنا أهْلَ بغى تدع ابنتك يغشاها جَوَادٌ من البربر ؟ لتلدنَّ لك حفداء يَصْهلونَ فى وجهك وليكوننَّ لك أبناءُ عمٍّ من الخيل وَأَقْرِباءُ من المهارَى .

برابنسيو: أنت مَن أيها الدَّعِىُّ الضُّحْكة ؟

ياجو : أنا يا سيدى رجل جاء ليقول لك إن ابنتك والمغربى الآن متكوّنان فى شكل حيوان ذى ظهرين .

برابنسيو: أنت سافل .

ياجو : وأنت . . . عضو فى مجلس الأعيان .

برابنسيو: سيكون لك معى شأن . عرفتك يا ردريجو .

ردريجو : الشأن الذى تريده يا سيدى . لكن أبتهل إليك أن

تنبئنى : أ بمشيئتك وبمقتضى حكمتك كما يكاد يثبت ذلك ، خرجت كريمتك الجميلة فى هذا الهزيع الآخر من الليل إذ الناس نيام وإذ لا يزيد حارسها ولا ينقص عن أحد الفقراء الذين يخدمون الجمهور من ملاحة الزوارق لتستسلم بين ذراعى مغربيٍ كثيف؟ فإن كان ذلك بعلم منك وسماح فقد أسأنا إليك وجرؤنا عليك وإلا فكأنى بك تهيننا ولا ذنب لنا . ولا تظن أنى تناسيت مقتضيات الكرامة إلى حد أن أستنزل لك من مقامك العالى لمثل هذه المهازحة بل أعيد عليك أن ابنتك — إذا كنت لم تأذنها — قد ارتكبت خطأ جسيماً بمنحها يدها وجمالها وعقلها وثروتها لأجنبى شريد بدوى موطنه هذا البلد وله من كل أفقٍ سواه موطن . بادر لتتبين الهدى . فإذا كانت ابنتك فى غرفتها أو فى البيت فادفعنى إلى عدل القضاء ليعاقبنى على خدعتى إياك كما فعلت

برابنسيو : اقدحوا الأزندة . . يا رجالى . . هاتوا لى مشعلاً . .

استيقظوا يا أتباعى . استيقظوا كُلُّكُمْ . هذا الحادث لا يختلف كثيراً عما رأيته فى حلمى . . يا لَخَوْفِى مما سألاقيه . . أنيروا يا رجالى أنيروا .

(ينصرف عن النافذة)

ياجو : أستودعك الله لأنه ليس من العقل ولا من المصلحة أن أبقى هنا فأتَّخذَ شاهداً على المغربى الذى بيده مَنصِبى خصوصًا مع علمى أن الحكومة مهما يسؤها منهُ هذا الخطأ فلا تستغنى بلا خطر على البلاد عن خدمة هذا الرجل ولهذا عَقَدَتْ له لواء الحرب الناشبة الآن فى قبرس ولو بحثَتْ عن غيره ما وَجَدَتْ لها خيراً منهُ . فضرُوراتُ معيشتى قاضِيَةٌ علىَّ مع كرهى إيَّاه أكثرَ من كرهى لعذابِ السعير أن أُظْهِرَ لَهُ الولاء . على أنها علائمُ لا شىءَ فيها غيرُ الظاهر . . فإذا أردتَ أن تجد الرجل فوجِّه إلى المَعْقِلِ الذى فيهِ الضباط مَنِ استَيقظ من القوم للبحث عنهُ وسأكون هناك بجانبه . . إلى الملتقى .

(يدخل برابنسيو وخدم معهم مشاعل)

برابنسيو: صدقتنى النبأ وإنَّ الخطب لَجَلَلٌ فلم يبق لى إلاَّ تجرُّعُ الصاب بعد الهوَانِ فى القليلِ الباقى من أيامى . قل لى ياردريجو أين رأيتها ! ويلها من فتاةٍ شقية ؟ أمع المَغربى ؟ مَن يَجْرُؤ بعد هذا أن يكون والداً ؟ كيف علمتَ أنها هى ؟ واحرَّ قلباه ! خَدَعَتْنِى من وراء التصوُّر . . . ماذا قالت لك ؟ هاتوا مشاعِلَ أخر . أيقظوا كلَّ أقاربى . . هل تزوَّجا ؟ أتظنُّ أنهُما تزوجا ؟

ردريجو : ذلك ما أظنه

برابنسيو: يالَلْعجب ! كيف خرجت ؟ يالخيانة الدم ! أيها الآباء لا تَأمَنُوا بَعْد الآن نفوس بناتكم على ما يُبدين من الطهارة . ألا توجدُ ضروبٌ من السحر تُغَشُّ بها الشبيبةُ وتُستدرَجُ العفة ؟ ألم تقرأ شيئاً فى هذا المعنى يا ردريجو ؟

ردريجو : بلى يا سيدى !

برابنسيو: أيقظوا أخى . لماذا لم أرضَ بك قريناً لها . اذهبوا بعضكم من جهة وبعضكم من جهة أخرى . أتعرف أين نَسْتَطِيعُ أَنْ نَظفرَ بهما ؟

ردريجو : أظن أننى أَكشفهما إذا صحبتنى ومعك حرس أمناء

برابنسيو: أرشدنى أَرشَدَكَ الله . سأدعو الناس من كل منزل وأمرى مُطَاعٌ عند الأكثرين . تقلدُوا أسلحتكم . أيقظوا بعضَ الضباط المَنُوط بهم السهر هلم بنا يا ردريجو وسأعرف لك هذه المنة .

المشهد الثانى

فى البندقية — طريق أخرى

(يدخل عطيل وياجو وخدم بمشاعل)

ياجو : لقد تعوَّدتُ القتل فى الحروب ولكننى ما زلتُ أخشى تحميل ضميرى إزهاقَ روحٍ عن عمد وتعوزُنى فى بعض الأحيان مثلُ هذه الاستباحة

لخدمةِ نفسى على أننى عزمتُ تسع مرارٍ أو عشر مرار على إيلاجِ (١) نَصْلَتى فى ذلك الشيخ هنا تحتَ الأضلاع ولكن . . .

عطيل : كان خيراً أن تجرى الأمور كما هى الآن .

ياجو : والخير ما جرى . غير أن الرجل ثرثر ما شاء وطعنَ طعناً مُسْتَفِزًّا فى حق عليائكم بحيثُ أننى على قلة تقواى لم أكد أُطيقُ الصبر على ما يقول . . . لكن ألا يتفضل مولاى ويخبرُنى هل تمَّ القران ؟ إنَّ ذلك الشيخَ الذى لقبهُ الشعب بالكريم محبوبٌ حُبًّا جمًّا وله فى المجلس صوت أقوى مرَّتين من صوت الدوج ففى وُسْعِهِ أن يَضْطَرَّكَ إلى الطلاق أو أن يحول دون مرامك بكل المكايدِ والمشاكسات التى يستمدّ أسبابها من القانون بما له من المقْدِرَةِ والبأس .

عطيل : ليفعل ما يشاؤُهُ حَنَقُهُ . إن جلائلَ الخدم التى

---

(١) إدخال .

خدمت بها هذه البلاد لأبلغُ فى الشفاعة لى من شِكاياته فى الإضرار بى . . . وسيعلم القومُ منى — عند ما يبيح الشرفُ الافتخار — أنى سليلُ بيتٍ من البيوتات المالكة وأنَّ أعمالى تقف موقفَها العالى بجانب أعْتَى المناصب التى يَبْلُغها بالتوفيق أمثالى . واعلم يا ياجو أنى لولا شغفى بديدمونة التى سَحَرتْ لبى لما رضيت بكنوز البحار بدلاً من حريتى وَبَداوتى اللتين لا يحدُّهما حد ثابت ولا تحصرُهُما دَائرةٌ ضائقة . . . انظر انظر . . . ما تلك الأنوار القادمة نحونا من هناك ؟

ياجو : هذا والدها استيقظ وجاء مع أقاربه . أَولى لك أن تدخل .

عطيل : كلا يجب أن يَرَوْنى بحقيقتى كما تُظْهِرُها لهم أخلاقى وألقابى وطهارَةُ ذمتى . أتظنهم إياهم ؟

ياجو : يبين لى أن القومَ غَيْرُهم .

(يدخل كاسيو وبعض ضباط بمشاعل)

عطيل : خدم الدوج . . وملازمى . . طاب ليلكم يا أصدقائى جميعاً . ما وراءكم ؟

كاسيو : الدوج يُهْدِى إليك تحياته ويرغبُ فى حضورك حالاً وألاَّ تبطِئَ عنهُ دقيقةً واحدة .

عطيل : فى أى شأن تظن ؟

كاسيو : إن صدق ظنى فهو شأن مخصوص بقبرس ويظهر أنهُ عاجل لأن السفائن أرسلت فى هذا الليل اثنى عشر رائداً متتابعين وكثيرٌ من المستشارين أُوقِظُوا وهم الآن مجتمعُونَ فى حضرة الدوج وقد التمسُوكَ فى منزلك بإلحاح فاما لم يجدوكَ بعَثُوا ثلاثةَ أرْهَاطٍ[1] من الجند للبحث عنك .

عطيل : من التوفيق أن تكون أنتَ الذى لقيتنى سأدخُلُ هذا البيتَ مُهْلةَ كلمةٍ تقال ثم أصحبكم (يخرج)

كاسيو : حَامِلَ العلَمِ ما يفعل القائد هنا ؟

ياجو : كأننى به غَنِمَ فى هذه الليلة سفينةً من السفن الكبرى

---

(١) جماعات .

مشحونةً بالخيرات فإذا أُقِرَّتْ له فقد أصابَ الثروةَ الخالدة .

كاسيو : لم أفهم ما تعنى .

ياجو : تزوج .

كاسيو : ممن ؟

ياجو : تزوج من . . . (يدخل عطيل) هيا بنا أيها القائد أنمضى ؟

عطيل : نمضى ولا عائق .

كاسيو : أرى جماعة أخرى قادمة فى طلبك .

ياجو : هذا برابنسيو . حذار أيها القائد . إنه لينوى شرًّا .

(يدخل برابنسيو وردريجو وضباط بمشاعل وأسلحة)

عطيل : قفوا هنا .

ردريجو : هذا هو المغربى ياسيدى .

برابنسيو : أَوْقِعُوا به . هذا اللص .

ياجو : علىَّ بك ياردريجو . قِرْنُك[1] أنا يا سيدى .

---

(١) خصمك وقريعك .

عطيل : أغمِدُوا سيوفكم اللامعة لِأنَّ الندى يُنزِلُ عليها الصدأَ . . . يا سيدى الجليل إن شيخوختك لأصلحُ للأمر من سلاحك .

برابنسيو : أنت أيها السارقُ الخسيس ؟ أين أودعتَ ابنتى . سحرتها يا رجلَ النار وأستشهد على جنايتك بأولى الألباب . أكانت لولا السّحْرُ فتاةٌ بتلك الرقة وذلك الجمال . فتاةٌ ناعمة كلَّ النعيم . . آنِفةٌ من الزواج إلى حد أنها لم ترضَ بواحد من أغنَى وأجمل شبان أُمتنا بَعْلاً لها . . تتعرضُ للسُّخْرِيةِ العامَّة بخروجِها عن وَصَايَةِ أبيها والتجائها إلى صدر أسودَ دهنىّ كصدرك الذى يدعو إلى الخوف لا إلى السرور ؟ ليحكم الناس بيننا . أليسَ واضحاً وُضُوحَ البَدَاهَة أنكَ رَقَيتها برقًى سيئةٍ وأنك خدعت طفولتها بعقاقيرَ أو معادِنَ تَهيجُ الشهوةَ البدنية ؟ سأضع هذه المسألة تحت البحث لأنها معقولة بل يَلْمِسُهَا الفكر لمساً . فأنا قابضٌ عليك إذن ومتهمكَ بإفساد

أخلاق العذارى وباستعمال صَنَائِعَ محرمةٍ وغيرِ مباحَةٍ قانوناً . خذوا بتلابيبه . . وإذا قاومكم فأخْضعُوهُ وعليهِ نتائجُ ما يصيبه

عطيل : اِثْنُوا أيديكم . لو رضيت القتال ما احتجت إلى داع يدعونى إليه . إلى أين تريد أن أذهب للإجابة عما تتهمنى به ؟

برابنسيو : إلى السجن حتى ينقضىَ الزمنُ الذى عينه القانون وسَيْرُ القضاء فتسأل .

عطيل : إذا أطعتك فيما تريد فكيف أستطيع تلبية طلب الدوج وهذه رُسُلُه بجانبى جاءت تدعونى إليه لأمر ذى بال فى الحكومة .

ضابط أول: هذا حق يا أيها السيد الجليل . إن الدوج فى مفاوضة وأنا واثق من أنه بعث فى استدعاء ذاتك الشريفة .

برابنسيو : أيَّةُ مفاوَضَة يعقدها الدوج فى هذه الساعة من الليل — سوقوه . إن مسألتى ليست من المسائل التافهة — سيعلمُهَا الدوج نفسه وسائِرُ إخوانى من

أركان الدولة ويشاطرونني غمى مما لَحِقَ بى من الإهانة كأنه لحق بِهِمْ أنْفُسِهِمْ وإلاَّ فإنه لو أبيحَ ارتكابُ أمثالِ هـذه الجرائم لأصبحَ الأرقاء والوثنيونَ أولياءَ الأمرِ فينا .

المشهد الثالث

فى البندقية — رَدْهة المجلس

(الدوج جالساً إلى مائدة يحيط بها فريق من الأعيان وضباط يقومون بخدمتهم)

الدوج : ليس بين هذه الأنباء من التشابه ما يُجيزُ تصديقها .

العين الأول: الأنباء مختلفةٌ جدًّا فى الحق وقد ورد فى الكتب المرسَلة إلىَّ أن سفنَهم المحاربة سَبْعمائة .

الدوج : وفى الكتب التى تلقيتها أن عددَ السفن مائة وأربعون .

العين الثانى: ويُستفاد من أخبارى أن السفن مائتان . غير أن الاختلاف هو فى الرَّقْم — وفى مثل هذه الحالة

تُرسَلُ الأنباء تقديراً وتخميناً وتكثُرُ التباينات — أما الحقيقةُ الثابتة بعد ذلك من جميع المراسلات فهى أنَّ هناكَ أسطولاً للعدوّ متجِهاً بأشرعته نحو قبرس .

الدوج : نعم هذا ما يقوله العقل ولكن هذه الاختلافات فى العدد تحدث عندى قلقاً وَرَيْباً .

ملاح (من الخارج) : يا هو . يا هو . يا من هنا .

أحدالضباط: رسول من السفن .

(يدخل الملاَّح)

الدوج : ما هنالك ؟

الملاح : أسطولُ العدو يَنْتَحِى رودس وهذا بلاغ من قبل السنيور أنجلو .

الدوج : ما قولكم فى هذا الانقلاب ؟

العين الأول: لا يُعْقَلُ لأدنى تصوّر . إن هى إلاَّ محاولةٌ ومُغَالَطَة . إذ لو تبصرنا فيما لقبرس من الشأن الخاص عند العدو لأدركْنا من فورنا أنه إنما يقصدُها دون

رودس لأنها أصلحُ وأسهلُ مأخذاً وليس فيها من وسائلِ الدفاع وَالْمِيرة ما فى رودس وعلى هذا لا يُقْذَفُ فى رُوعِنا[1] أنَّهُمْ يخطئون ذلك الخطأَ بتركهم قبرس وَرَاءهم على كونها تُهِمُّهُم أولاً وأنها لهم أفيد وإلى متناوَلهم أقرب ويندفعونَ إلى جزيرة أخرى ينبّهون عليهم منها الخطر ولاَ يَحْلُونَ[2] بطائل.

الدوج : يقيناً لا يعقل أن تكون تلك السفن مرسلة على رودس.

(يدخل رسول)

الضابط الأول: هذه أخبار أخر.

الرسول : أيها السادة الأجلاء الكرام إن الأعداء اتجهوا إلى رودس وعززوا أسطولهم بأسطول مساعد.

العين الثانى: هذا ما كنت أُقَدِّرُهُ — كم تظن تَعدَادَ ذلك الأسطول المساعد ؟

الرسول : يبلغ ثلاثين شراعاً ضموها إليهم والآن هم عائدون

---

(١) لا يداخلنا الظن. (٢) لا يستفيدون منها شيئاً يذكر.

ظاهراً نحو قبرس . وهذا بلاغ من السنيور منتانو خادمكم الباسل الأمين الذى يرفع إليكم تَحِلّاتِهِ ويرجو أن تصدِّقُوا بلاغه .

الدوج : تحقق إذن أن مقصدَهم قبرس أليس فيها الآن مركو لكسيكو ؟

العين الأول: هو الآن فى فيورنته .

الدوج : اكتبوا إليه من قِبَلِنا وأرسلوا الأمرَ من الفورِ بريداً يبريد .

العين الثانى: هذان برابنسيو والمغربى الشجاع .

(يدخل برابنسيو وعطيل وياجو وردريجو وضباط)

الدوج : يجب علينا يا عطيلُ الباسل أن نستعين بك عاجلاً على عدوّ الوطن (إلى برابنسيو) لم أرك قبلاً أيها السيد الشريف تحيـــةً وتكريماً . كنا فى حاجةٍ إلى مَشُورَتِكَ وإمدَادِكَ فى هذه الليلة .

برابنسيو : وأنا فى حاجة إلى مشورتكم وإمدادكم أيضاً . أستميح من فضل سموكم حلماً . إن الذى انْتَبَذَبِى من مرقَدِى

لم يكن داعىَ منصبي وَلاَ نبأً جاءنى عما نحن فيه .
وليس همُّ المصلحة العامة همى الآن بل بى حزن خاصّ
من تلك الأحزان المُجتَاحَة المتغلّبة التى هى أشبهُ
بالفيضان الجارف لكل ما يمرّ به . ذلك الحزنُ قد
طغَى على سائر شواغلى واستغرقها وبقى وحدَه
مالِئًا نفسى .

الدوج : ما ذلك الخطب ؟

برابنسيو : بنيتى بنيتى !

الدوج والأعيان : أماتت ؟

برابنسيو : ماتت عنى . خُدِعَتْ . سرقت منى . أُفسدتْ برُقًى
وعقاقير مُشتراةٍ من بعض الدجالين . وهل تستطيع
الفِطرةُ ما لم يغيرها السحرُ أن تكون بلهاءَ عمياءَ
حمقاءَ إلى ارتكابِ مثل هذا الخَطَل[1] ؟

الدوج : أيًّا كان الذى استعان بمثل هذه الوسائل لاختطاف
كريمتك من نفسها ومنك فسيَلْقَى من القصاصِ أشدَّ

(١) إخطاء الرأى .

ما تُؤَوَّل به نصوصُ قانون العقوبات الرهيب بما ندع لكَ الرأى فى تأويله . نعم هكذا سيكون ولو أنَّ الجانى هو ابننا بنفسه .

برابنسيو: شكراً لسموكم بكل خضوع . إن الرجل هو هذا المغربى الذى سمعتُ أنك استدعيته الآن لبعض أمور الدولة .

الدوج والأعيان: إننا لآسفونَ أشد الأسف

الدوج: بِمَ تجيب دفاعًا عن نفسك .

برابنسيو: بلا شىء والحق ما ذكرتم

عطيل: يا أولى الاقتدار والرفعةِ والوقار سادَتِى الأمجادَ المدربين حقٌّ أنى أخذتُ كريمة هذا الشيخ بحيلة . وحقٌّ أنى اقترنتُ بها . غيرأنَّ ذنبى لا يتجاوَزُ هذا القدر . إنى خَشِنٌ فى مقالى وغيرُ حاذِقٍ فى صناعة المخاطبة باللسان السّلمى العذب ذلك لِأن هاتين الذراعين ، منذ بلغتا مبلَغَهُما للسنةِ السَّابعَةِ بعد مولدى إلى مبدأ التسعة الأهلّة الأخيرة من عمرى ، لم تألفا من

الرياضة أجملَ مما أَلِفتا منها حِيالَ الفلوات المضروبةِ فيها الخيام وفيما عدَا وَقائِع الحربِ والجلاد لا أجدُ شيئًا ينطلق به لسانى إلَّا اليسيرَ من أحوالِ هذا العالم الواسع فإذا دافعتُ عن نفسى فلا قِبَلَ لى بتحلية الدفاع ولا خَشْيَةَ عليكم من تأثير محسِّناتى اللفظية ولهذا سأقصُّ عليكم إن أذنتم بكلمات موجزةٍ صريحةٍ غيرِ منمقة ولا مزدانةٍ تاريخَ غرامى وأذكر لكم أيةَ العَقاقير وَأيةَ الطلاسم وأيَّةَ المؤامرات استخدمْتها لإغراءِ كريمته فتعلموا مبلغ تلك التهمة من الصحة .

برابنسيو : فتاة تعيشُ حَيِيَّةً هادِئةً خادِرة تكاد تحمرُّ خجلاً إذا أبدتْ حَراكاً أتخالف طبعَها وسنَّها وأمتها ومنزلتها من الجاه بل كُلَّ مسوِّغ مشروعٍ لتتعشق شخصاً كانت تَتهيَّبُ النظر إليه ؟ من قال إن الكمال يشذ هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة فهو أبترُ الرأى ناقصُه والذى تَقْضِى بهِ الضرورةُ لدى حدوثِ مثل

هذا الحادث أن يبحثَ عن علته فى حيلةٍ من حيل جهنم فأنا ما زلت مُصرًّا أنَّ ذلك الرجل أثّر فيها بمزيجٍ فعّال فى الدم أو بشرابٍ مَرْقىّ لهذا الغرض .

الدوج : الإصرار ليس بالإثبات ولا بدَّ لك من الاستشهاد بوقائع أجلَى وأدقّ من المزاعم العَرَضيّة والتقديراتِ السهلة التى تدل عَليها هذهِ الظواهرُ المألوفة .

العين الثانى : ليتكلم عطيل . هل اتخذت وسائلَ منحرفةً ذاتَ تأثير شديد لتنفث فى ضمير الفتاة السم وتملكها بها أم تذرعت إليها بالاستعطافاتِ والإلحاحاتِ الجميلة التى تناجى بها النفسُ النفسَ لتستميلها ؟

عطيل : أبتهل إليكم أن ترسلوا فى طلب السيدة من منزلى بالثُّكْنَةِ ولتتكلم عنى بحضرة أبيها فإذا شهدت بشىء تستقبحونه منى فلا تكتفوا بحرمانى ثِقَتَكُمْ وعزلى من منصبى بل أوقعوا عقوبتكم على حياتى .

الدوج : لتستحضر ديدمونه .

عطيل : حامل العلَم اذهب وَأَدْلُهُمْ على مكانها (يخرج ياجو

وبعض الخدم) وفى انتظارِ قدومها سأقصُّ على مسامعكم الشريفة قصةَ هذا الغرام الذى ملكتُ به قلب تلك الحسناء وملكتْ به قلبى .

الدوج : اذكر لنا هذه السيرة ياعطيل .

عطيل : كان أبوها يحبنى . وكان كثيراً ما يدعونى فيسألنى ترجمتى مفصلةً سنةً بسنة وبيانَ المكافحات والمحاصرات التى شهدتها وتعديدَ ما أحرزته من النَّصَرَاتِ فكنت أجيبه إلى أمنيته حتى لم تبقَ فى حياتى كبيرةٌ ولا صغيرةٌ إلا حدثته بها وذلك منذ نعومَةِ أظفارى إلى اليوم الذى كنت أجالسه فيه . فمما وصفته له الطوارئ الرائعة والفواجعُ المبكية التى لقيتها برًّا وبحراً من مثل ما جرى لى يوماً وقد أوشكت أن أقتل فى ثُلْمة من ثُلُمَات الحصار لولا لطفٌ من الله تداركنى عن قِيدِ شعرة ، ومن مثل استئسارى يوماً لعدو وقح باعَنى بيعَ الرقيق ، ومن مثل شرائى رقبتى وضروب الغرائب التى صادفتها

فى أيامى . وكان فى خلال إخبارى بتلك الوقائع يدخل فى كلامى تَصْوِيرُ مفاوِزَ فسيحة وصحارَى قاحلةٍ ومحاجرَ كالحةٍ وصخورٍ وجبال تشمَخُ بقممها إلى العَنَان . كل هذه الأعراض كانت تمر تباعاً فى أقوالى ناهيكم بمشاهداتى لأكلة اللحوم البشرية ولأقوام أخر جعل الله رُؤُوسَهُمْ تحتَ أكتافهم . وكانت ديدمونه تسمع هذه الأقاصيص بشغف . سوى أن بعضَ مشاغِلِ البيت كانت بين آن وآن تضطرها للقيام فإذا انصرفت لها قضتها بأسرع ما تستطيع وعادتْ تشربُ حديثى بأذُن ظمأى . فلما لمحتُ ذلك منها استدرجتُها ذات يوم فى ساعة مناسبة لتسألنى أن أقص عليها بالتمام سيرةَ رحْلاتى التى كانت قد سمعت منها نُتَفاً ولم تتمكنْ مِنِ اُستتباعها فأعدت عليها تلك السيرةَ كما أرادت وكنت أراها غيرَ مرة تبكى رحمةً لشبابى مما أصابنى فيه من الأرزاء الأليمة . وعندما ختمت قصتى كافأتنى عليها بتَنهُّدَاتٍ لا تحصى

وأقسمت أنها غريبة فى الغاية وأنها محزنة إلى النهاية بحيث تمنت لو لم تسمعها — على أنها قالت فى بعض ما قالت إنها كانت تود لو خلقها الله رجلاً على هذا المثال ثم شكرت لى معروفى وكاشفتنى بأنه إذا كان لى صديق يحبنى فحسبى أن أعلّمه كيف يقصّ ترجمة حياتى لِتَرْضَى به قريناً . هذه العبارة جرأتنى فبحتُ لها بما فى ضميرى وعلمت منها أنها أحبتنى بسببِ الأخطار التى عانيتها وشَعَرتُ من نفسى أننى أحببتها لما تبينْتُ من شفقتها علىَّ ورِقّتها لى . ذلك هو الفنُّ الوحيد الذى توسلت به إليها من أفانين السحر . على أنها قادمة وستسمعون شهادتها .

(تدخل ديدمونه)

الدوج : أعتقد أن قصة كهذه تُستَهْوَى بها ابنتى أيضاً . أيها العزيز برابنسيو لاتنظرْ إلى هذه المسألة من حيث تؤلمك . إن الرجال لأشدُ دفاعاً عن أنفسهم بأسلحتهم المحطّمة منهم بأيديهم وهى خالية .

برابنسيو : ألتمس أن تسمعوا كلامها . لتعترف أنها خطت نصف الطريق والله شهيد أن ملامتى لا تقع بشدَّتِها على هذا الرجل . تقدمى أيتها الآنسة الجميلة أمدركة أنتِ لمن من هؤلاء الجماعة الشرفاء يجب عليكِ الطاعة ؟

ديدمونه : يا والدى الشريف أجد هنا واجباً مقسوماً . أنا مدينة لك بحياتى وتأديبى ومنهما أعرف قدر ما ينبغى لك علىَّ من التَجِلَّةِ وما زلتَ خليقاً بطاعتى لأننى لم أزلْ سليلتَكَ . غير أن هذا الرجل قرينى وإنى لمقرةٌ بين يديك أننى مدينةٌ لهذا المغربى بمثل الطاعةِ التى كانت تلبّيك بها أمى مؤثرَةً [1] إياكَ على أبيها .

برابنسيو : عافاكم الله انتهيت . أرجو من سموكم أن يتحول اهتمامنا إلى مصالح الحكومة . كان خيراً لى أن أتبنى طفلاً ما من أن ألد هذه . ادنُ منها أيها المغربى . أعطيك هنا عن رضا ما كنت لا أسمح لك بهِ لو لم تسبق إلى ملكه . لكِ فضل علىَّ يا جوهرتى

---

(١) مفضلة .

بسرور عظيم سررتُه الآن ، وهو أننى لم أرزق سواكِ من البنات لأن فرارَك كان يضطرنى أن أعاملهنَّ بقسْوَة المستبدين وأجعَلَ فى أعناقهنَّ الحبال . انتهيت يا مولاى .

الدوج : دعنى أتكلمْ عنك وأذكرْ حِكمة إذا عمل بها هذان العاشقان تدرجا إلى رضاك . حيث بَطُلَ نفعُ الأدوية زالت الآلام بزوال ما كان عالقاً بتلك الأدوية من الآمال . البكاء على ما فات مجلبة لغيره من الآفات . من عَجَزَ عَن استعادةِ ما ذهبت به المقاديرُ فالأجدر به أن يحول بصبره جِدَّ المصاب إلى سخريةٍ وَدُعاب . الرجل الذى يُسرَق فيبتسم ينتقصُ شيئاً من السارق ، أما الذى يحزَنُ بلا طائلٍ فهو سارق نفسَه

برابنسيو: إذن لندع الأعداء يغصبون منا قبرس ولا خسارة علينا ما بقى فى استطاعتنا أن نبتسم . هذه حكمة خفيفة المجرى على لسان من فى قلبهِ مثل ما فيها من

التسلية ، أما الذى يحمل الألم والحكمة معاً فهو الذى يستعيرُ من الصبر ما يدفعهُ إلى الحزن . أمثال تلك الحكمة ، وفيها الحلو والصاب مجتمعين والقوة والضعف متجاذبين ، إنما هى كَلِمٌ ملتَبِساتٌ على أنها ألفاظٌ ولسنَ إلا ألفاظاً . وما سمعت حتى الساعة بشفاءٍ وصل من طَريق الأذن إلى قلب جريح . لنتكلم الآن فى شؤون الدولة . هذا ابتهالى إليكم بكل اتضاع .

الدوج : الأعداء متجهون بأسطول شديد القوة إلى قبرس . عطيل أنت أدرَى بُجهْدِ ما تستطيعهُ تلك الجزيرةُ من المقاومة ومع أن لنا هنالكَ عاملاً ذكيًّا فيهِ الكفاية كُلُّ الكفاية لصيانتها إلا أَن المشُورةَ التى لها القول الفصلُ فى تحول الأحوال هى التى آثرتك وبك تجدُ مزيداً من الثقة فلا بدّ لك من أَن تشُوب بهجة فرحِك بأخطارِ هذه الحملة وضوضائها .

عطيل : العادةُ وهى المستبدة قد استحكمت منى أيها الأعيان المتبصرونَ حتى جعلتْ مرقدَ الصخرِ والفولاذِ فى الحرب ألينَ لى من مرقدِ الزَّغبِ الناعم . وإننى لأشعرُ بسرورٍ طبيعى وثَّاب لدى مغامَرة المحن القاسية . فعلىَّ إذَن تَولى هذه الحربَ فى وجه الأعداء . وغايةُ ما ألتمسهُ منكم مع الخضوع لعظيم اقتداركم أن تجعلوا لحليلتى كَفالة لائقة لمقامها فتمنحوها منزلاً وتُجْرُوا عليها رِزقاً يكونانِ على مناسبة شرفها وعلوّ مَحْتِدِها[1] .

الدوج : لها أن تقيم عند والدها إذا رضيتَ .

برابنسيو : لا أرضى .

عطيل : ولا أنا .

ديدمونه : كذلك وأنا أستعفى صيانةً لوالدى من أن تُحْرِجَهُ رؤيتى . أيها الدوج الرحيم تقبّل منى دعاءً أستمدُّ به معونتكَ لجرأتى .

---

(١) شرف أصلها .

الدوج : ماذا تريدين يا ديدمونه ؟

ديدمونه : لقد أحببت المغربى حبًّا يقضى علىَّ بألَّا أفارقه فى حياتى . أثبتُّ ذلك بما تعرضت له من سوء الأُحْدُوثةِ والاستسلامِ للقدر وقلبى يُعينُنى على تحمُّلِ جميع المتاعب التى يقضى بها علىَّ منصبُ هذا السيد الذى وقفت روحى وسعادتى على مَجْدِه وبسَالته . فإذا تركتمونى أيها السادة الأعزاء مقيمةً ههنا كالفَراشَةِ فى أيام الصفاء على حين يذهبُ هو إلى الحرب حرمتمونى إيفاءَ النَّذْرِ الذى نذَرتُهُ لذلك الشرفِ الذى من أجله أحببته وسُمْتمُونِى عذابَ هجرٍ طويل علىَّ مهما قصر . . . فائذنوا لى بالسفر معه .

عطيل : إذنًا بسفرها أيها السادة . أبتهل إليكم أن تجيبوها إلى سُؤْلِهَا والله يشهد أنَّنى لا ألتمس لها هذا العَناء لمتاع نفسى وإخماد لواعِج قَلْبى . فقد شفيت سَوْرَته الأولى ، ولكن لقضاء رغبتها بحبٍّ وكرامة . كما أننى أحاشِى معاليَكم الطاهرةَ من أن تظنوا أننى

سأهملُ الأعمالَ الجِدية الجسيمةَ المنوطةَ بى لأن حليلتى تكونُ بجانبى . لا لا . ولو أننى استسلمتُ بغرام استسلاماً يَغْشَى بنعيمه حزمى وعزمى ويفسد للذاته قيامى بواجباتى لرضيتُ أن تأخذ قعائد البيوت خُوذَتِى[1] ليصطنعنَ منها طاسة وأن يبارِيَنِى فى شهرتِى ومَجْدِى الزعانِفُ الذين يصحَبُهُم النحسُ والخجلُ فيَظْهَرُوا علىَّ ويسبِقُونى .

الدوج : ليكن من أمر حَلِّها أو ترحالها ماتريان أنتما . الحاجة ملمَّة والخطب يقتضى المبادرة .

العين الأول: ينبغى أن تسافر الليلة .

عطيل : بكل ارتياح .

الدوج : سنجتمع ههنا الساعة التاسعة صباحاً فاستبقِ يا عطيل واحداً من ضباطك ليحملَ إليك غداً تكاليفنا ومرسوماتِ تنصيبك وتلقيبك .

عطيل : إذا حسُنَ لدى مرحمتكم أستبقى حاملَ علمى . هو

(١) قبعة الفارس من المعدن .

رجل أمين نزيه وإليهِ سأعهدُ فى إحضار امرأتى وحملِ ما تشاء مرحمتكم إرسالَه إلىَّ .

الدوج : ذلك إليك . طاب ليلكم جميعاً (إلى برابنسيو) أيها السيد الشريف إذا صَحَّ أن الفضيلة لا تخلو قط من جمالٍ خلاب فصهرك أجمل بكثيرٍ مما هو أسود .

العين الثانى: صحبتك السلامَةُ أيها المغربى الباسل أحسِنْ معاملة ديدمونه .

برابنسيو : اسهرْ يا مغربى إذا كانتْ لك عينان ترى بهما . إنها خَدَعَتْ أباها وقد تخدعُك أيضاً .

(يخرج الدوج والأعيان والضباط إلخ)

عطيل : أنا أضمن أمانتها بحياتى . أى ياجو النزيه إنى مضطر أن أدع لك ديدمونه وأرجو أن توصى امرأتَكَ بمنحها ما ينبغى من الخدم وعليك أنت أن توصِلَها إلى الجزيرة فى أحسنِ ما يستطاع . تعالى يا ديدمونه لم تبق لى إلا ساعة نخلو بها للوداع وتدبيرِ شؤون رحلتنا الوقتُ حاكِمٌ لا بدَّ من طاعته .

(يخرج عطيل وديدمونه)

ردريجو : ياجو .

ياجو : ماذا تقول يا ذا القلب النبيل .

ردريجو : أىُّ شىء تظنى أتمناه الآن

ياجو : لا جَرَم أنْ تتمنى الذهابَ إلى السرير والرقاد .

ردريجو : سأذهب لإلقاء نفسى فى البحر حالاً

ياجو : إذا فعلتَها لم أُحِبِّكَ بعد الآن . أتفعلها أيها الشريف الأبله .

ردريجو : البلاهة أن نَعيش حيث العيش ألم وأنجع دواءٍ هو الموت حيث يكون الموتُ هو الطبيب .

ياجو : ياله من جبن ! لقد بلغت الثامنة والعشرين من سنى ومنذ طفِقْتُ أتبين الإساءةَ من الإحسان لم أجد رجلاً يحب نفسه حق الحب . أنا قبل أن أعزمَ على الهلاكِ غَرَقاً لهُيامِى فى دَجاجَةٍ ما ، أوثر أن أتحولَ من رجل إلى قرد .

ردريجو : ما فى وُسعِى أن أعملَ . أعترف أن العشق وقد بلغ هذه الغاية عارٌ علىَّ ولكنه ليسَ فى طاقتى أن أستَشْفىَ منه .

ياجو : الطاقة ؟ ما معنى الطاقة ؟ نحن الذين بإرادتنا نكون كذا أو كذا . أجسامنا حدائقنا ومشيئاتنا بستانيّوها بحيث لو عَنَّ لنا أن نزرع فيها صنفاً دون آخر أو نستنبتها عُشباً أو ننزِع غيره أو نخدمها فتخصب أو نهملها فتُمحِل ففى مشيئاتنا من السلطة ما يكفى لإعدادها وتنقيحها على حد ما نشتهى . ثم إنهُ لو لم تكن فى ميزان أعمارنا كِفّةٌ من العقل لمعادلةِ كِفةِ الشهوة لكانت خِسة طبائعِنا تدفعُنا إلى أوخم العواقب . غير أننا رزقنا العقلَ لإخمادِ ثورة غضبنا وتسكين لواعِج أمانينا البدنية وكبح شهواتنا التى لا لُجُمَ لها ومما تقدم أستنتج أن الذى تسمونه حُبًّا إن هو إلا فُسَيلةٌ[1] كسائر الفسائل أو فرعٌ كسائر الفروع .

رودريجو : غير معقول أن يكون الحب هكذا .

ياجو : بل قل هو — وما يزيد عما أُعرِّفه بهِ — مطمعٌ من الدم وإذنٌ من الإرادة . تنبه وكن رجلاً . أتغرّق نفسك .

---

(١) عقلة .

غرّق فى بعض الهرر أو بعض الكلاب الصغيرةِ العمياء. لقد أبديت لك صداقتى وأجاهرك أننى مشدودٌ إلى كرائم خلالِك بحبالٍ متينةٍ خالدة ولم يكن قط فى وسعى أن أخدمك كخدمَتِى إياكَ الآن. ضع نقوداً فى جيبك واتبعنا إلى دار الحرب مخفيًا وجهَكَ وراءَ لحيةٍ مستعارة. ضع نقوداً فى جيبك، نصيحةٌ منى لك إذ لا يُحتمل أن تستمرّ ديدمونه على حبها للمغربى. ضع نقوداً فى جيبك.. ولا يحتمل أيضاً أنهُ هو سيستمرّ على شغَفِه بها طويلاً ذلك بأن البَدَاءةَ العنيفةَ فى مثل هذا الاتصالِ يعقبها الانفصام العنيف.. ضع نقوداً فى جيبك ولا تكلفْ نفسك غير هذا العناء.. إن هؤلاء المغاربة لمتقلبون فى أهوائهم.. املأ جيبك نقوداً. فإن الطعامَ الذى يجده الساعَةَ شهيًّا كالأناناس سيصبح فى فمه مُرًّا كالعَلْقم. وأيضاً هى فإنها ستبتغى منه بديلاً أنْضَرَ عوداً، وعند ما تشبَعُ من رسمه تتنبه لسوءِ اختيارها

وتريدُ التغيير . . حتماً . . . على هذا ضع نقوداً فى جيبك . . وإن كنت مصرًّا على التهالك بلا محيص فالتمس شيئاً أقلَّ فظاعةً من الغرق . اجمع ما تستطيعه من النقود . . فإذا لم تكن قدسيةُ الزواج وضعفُ اليمين التى يرتبط بها بربرىٌّ شريد ورفيقةٌ من نواعم البندقية أمرين فوق المكايد التى يَفْتِقُها فكرى وفوق جميع القوَى الجهنمية فإنك لا محالةَ متمتع بها . إذن هيئ نقوداً . . أتغرّق نفسكَ ؟ ! بئس هذَا الرأىُ من رأى خائب . انبِذْهُ وفضّلْ أن تشنق وقد قضيت مأربكَ على الغرق الذى يُقْصِيكَ عن هذه الدنيا وفى نفسك تلك الحسرة .

رودريجو : أتنشَطُ بلا مللٍ ولا انحراف لتحقيق آمالى إذا عزمت على هذا السفر .

ياجو : أنت على ثقة منى . اذهب وَأَعْدِدْ نقوداً . قلت لك مراراً وأعيد عليك قولى تكراراً إنى أكره ذلك المغربى وبغضى له متأصلٌ فى فؤادى كما هو متأصلٌ

فى فؤادك فلنجمع ثأرَيْنا وإذا استطعت أن تدنس عرضَهُ كان ذلك لك سروراً وكان لى تفكهة. الليالى يَحْمِلنَ كثيراً من الحوادث وسيلدنها . إلى الأمام إلى الأمام . اذهب واجلِبْ نقوداً ثم نستأنِف المفاوضة غداً أستودعك الله .

ردريجو : أين نلتقى غداً صباحاً .

ياجو : فى منزلى .

ردريجو : سأذهب إليك مبكراً .

ياجو : حين تشاء . إلى الملتقى . . أسمعت ؟

ردريجو : ماذا تقول ؟

ياجو : أقول إياك والغرق .

ردريجو : غيرت عزمى وسأبيع جميع أملاكى .

ياجو : اذهب موفقاً وضع نقوداً كافية فى جيبك (يخرج ردريجو) بهذه الحيلة وبأمثالها جعلتُ هذا الأحمقَ موضِعَ جيبى ولو لم أفعل لانتقصْتُ التجاربَ التى اكتسبتها إذ لا معنى لإضاعة وقتى مع مثل هذا الفرخ الرومى ما لم أستفدْ منهُ تسليةً ومالاً . أنا أمقتُ

المغربى ويظن الجمهورُ أنه أعلى منصِبى من تحت لحافى . على أننى لا أعلم إن كان هذا الظن صحيحاً ولكن الوهمَ فى مثل هذا يكفى عندى للحلولِ محل الحقيقة . الرجل يحترمنى واحترامُهُ إياىَ يزيدُنى رجاءً بإفلاحِ مكايدى ... أما كاسيو فهو شاب جميل لنفكر فى أمره هنيهة .. ما العمل للحصول على منصبهِ بحيث أكون قد أصبت رأسيْنِ عن رَمْيَةٍ واحدة من رَمَيَاتِ غدرى ؟ أيةُ الحيل أفضل ؟ لنفكر قليلاً . خير وسيلة فيما أظن أن آخذ بخادعة أذن عطيل فألقىَ فيها كلمةً بمعنى أن كاسيو شديدُ التقرب من امرأته . على أن شكل كاسيو وحسنَ أدبه يَرِيبَان ، وقد خلق لإغواء الغوانى . ولما كان المغربى صريحَ الضمير بَيِّنَ الطوية يعتقدُ النزاهة فى كل من يرى عليهِ مَلمَحَها كان منَ الميسور لى أن أقتادَهُ من أنفِهِ كما يُقْتَادُ الحمار . هذه مكيدتى ظَفِرْتُ بها ... فَلْيَسْتَوْلِدْها صلبُ الظَّلَامِ من بطن جهنم خَلْقاً شَاذًّا إذا طلع عليهِ النهار ظَهَرَ فَظِيعاً رهيباً .

الفصل الثانى

المشهد الأول

مرفأ فى قبرس ورواق

(يدخل منتانو ووجيهان)

منتانو : ماذا تتبين فى البحر من جهة الرأس ؟

أحد الحاضرين: لا أتبين شيئًا . البحر مضطرب جدًّا ولا أستطيع أن أرى شراعًا بين السماء والماء .

منتانو : أجد أن الريح قد أزعجت الأرض ولا أظن أن إعصارًا كان أشدَّ على حصوننا ومُمْتَنَعاتِنا من هذا الإعصار على أنهُ إذا كان هذا ما فعله فى البحر فَأيةُ الأشجار استطاعتْ أن تبقى فى منابتها عند ما تحاذَفَتْ عليها جبالُ الأمواج . أىُّ شىء سيجيئنا من أخبار هذه العاصفة .

الوجيه الثانى : تفرق أسطول الأعداء . انظر من الشاطئ

المضطرب ترَ الأمواج الثائرة كأنها واثبةٌ لتضربَ السحاب بل كأنها هاجمة بِعُفُراتها[1] الرائعةِ المتعاليةِ لتلقيَ ماءً على النار المتقدةِ فى نجوم الدُّبّ ولتطفئَ تلك الثوابتَ من حراس القطب . ما رأيت عمرى غَضْبَةً للبحر الهائج كهذه الغضبة .

منتانو : إذا كان أسطول العدو لم يلجأ إلى الموانئ فإنه لغريق وتستحيل عليهِ المقاومة . (يدخل وجيه ثالث)

الوجيه الثالث : أخبار جديدة يا أولادى . انتهت الحرب لأن هذه العاصفةَ الجمُوحَ تركت أساطيل الأعداء مكسورةَ الأجنحة وقد رأى غَرقَها وتحطُّمَها مَركبٌ قادم من البندقية .

منتانو : يا للعجب أصدقٌ ما تقول ؟

الوجيه الثالث : المركب قد دخل المرفأ ونزل منهُ فيرونى[2] يدعى ميشيل كاسيو . هو ملازم المغربى الباسلِ عطيل .

---

(١) لبّات الأسود .

(٢) نسبة إلى مدينة فيرونا بإيطاليا

ومن قوله إن عطيلاً فى العباب الآن وإنه مُوفَد إلينا
ليكون آمرًا مطلقاً فى قبرس .

منتانو : أنا مسرور بهِ لأنهُ حاكم جدير بهذا المقام .

الوجيه الثالث : غير أن كاسيو هذا على ما جاءنا بهِ من الأنباء
الطيبة عما حلَّ بالأعداء لا يبدو عليهِ الارتياح بل هو
كئيب يدعو الله لنجاة المغربى لأن العاصفة بشدتها
فرقت بينهما .

منتانو : لنضرعْ إلى الله أن يُسَلِّمهُ فقد خدمتُ تحت إمْرَتِهِ
وهو قائد لا عيب فيهِ . هلمَّ إلى الشاطئ لنرَى
المركب الذى وصل ونرقبَ بأعيننا مَقْدَمَ عطيل .
ولْنلبثْ ناظرين من موقفنا حتى تختلِطَ فى أبصارنا
خضرةُ البحر وزرقةُ الهواء .

الوجيه الثالث : لنفعل ذلك فإنه يرجى فى كل دقيقة طروق فوج
من الوافدين. (يدخل كاسيو)

كاسيو : حمدًا لك أيها الباسل حَاكِمُ هذه الجزيرة لذكرك

المغربىَّ بمثل هذا المديح . لعلَّ الله يَقيهِ فقد ضَلَلْتُ عنهُ فى بحرٍ زاخر بالأخطار .

منتانو : أتقول سفينتهُ صالحة للمقاومة ؟

كاسيو : سفينته متينة البناء ودليله ملاحٌ مشهودٌ له بالمهارة لهذا لم يضعف أملى بمجيئه .

صوت (من الخارج) : شراع . شراع . شراع .

كاسيو : ما هذا النداء ؟

الوجيه الرابع : خلَتْ المدينة من أهلها وجميعهم على الشاطئ يصيحون هذا شراع .

كاسيو : قلبى يحدثنى بأن هذا مجىء الحاكم (قصفة مدفع)

الوجيه الثانى : تلك قَصَفَاتُ وداد فلا بدَّ أن القادمين من أوليائنا .

كاسيو : هلا ذهبت يا سيدى فأخبرتنا من القادمون ؟

الوجيه الثانى : أنا ذاهب

منتانو : أقائدكَ متزوّج أيها الملازم الكريم .

كاسيو : صادفتهُ العناية فملك قلب فتاة لا يحيط بجمالها الوصف حتى ولا المبالغة . فتاةٌ تفوق بمحاسنها الفطرية أبرعَ

ما يتخيله الكاتبون وأبدعَ ما يصوّره المصوّرون .

(يعود الوجيه الثانى)

كاسيو : بشِّرنا من دخل المرفأ ؟

الوجيه الثانى : رجل يدعى ياجو حامِلُ علم القائد .

كاسيو : وُفِّقَ فى سفره وسبَقَ الأوان . فلا ريب أن العواصف نفسها ، والبحار الثائرة ، والرياح الزائرة ، والصخور التى تعترضها الأمواج والرمال المتراكمةَ الخائنة التى تتصيد المركب البرىء قد داخلها شِبْهُ رقةٍ للجمال فتحوَّلت عن طبائعها المُهلِكَة ، لتفسَحَ سبيلاً أمينةً تمرّ منها ديدمونه .

منتانو : من هذه الإنسانة ؟

كاسيو : هى التى كنت أذكرها لك ، هى قائدة قائدنا العظيم . جاءت يرعى طريقها الباسل ياجو الذى وصل بها قبل الموعد بسبعة أيام . أيها المشترى الأكبر مالكُ البحر أَيِّدْ عطيلاً واملأ شراعه بنَسْمتِكَ القديرة ليشرّف هذا المرفأ بزيارة مركبه الجميل ولينعمَ بقرب ديدمونه

وليذكِيَ فى قلوبنا ما خَبَا من ضَرَمِ الشجاعة وليمنحَ قبرس الأمنَ والسكون .

(تدخل ديدمونه وإميليا وياجو وردريجو وبعض الأتباع)

كاسيو : انظروا هذه كنوزُ المركب قد نزلت إلى البرّ . يا سكان قبرس سجوداً لديها . تحية وسلاماً أيتها السيدة وَلْتُحِطْ بكِ النعمُ من كل جانب .

ديدمونه : شكراً لك يا كاسيو المقدام. ماعندك من أخبار سيدى؟

كاسيو : لم يصل بعد ولكنهُ بخير فيما أعتقد . وسيكون ههنا عما قليل .

ديدمونه : أواه . أنا خائفة . كيف لا تكون مصاحِبَه ؟

كاسيو : فرقت بيننا مكافحةُ الماء والسماء . لكن سمعاً هذا شراع .

(صوت من الخارج) : شراع (قصفة مدفع)

الوجيه الثانى : قَصَفَات تحيةٍ للقلعة هؤلاء هم أيضاً أصدقاء .

كاسيو : وافِنا بالنبأ (يخرج الوجيه) يا حامل العلم الكريم مرحباً بك (إلى إميليا) وأهلاً بكِ أيتها السيدة .

يا صديقى ياجو . لا تحنقْ إذا تماديت فى مجاملتى لامرأتك فإن الأدب الذى رُبيتُ عليهِ هو الذى يحملنى على تجاوز اللائق (يقبل إميليا)

ياجو : لو أعطتك من شفتيها مقدار ما تعطينى من لسانها لاكتفيتَ سريعاً .

ديدمونه : أسفى عليها لقلَّ ما تتكلم .

ياجو : بل وذمتى إنها لتتكلم فوق الكفاية . أشعر بذلك كلما جاءتْ ساعةُ الرقاد . لا جَرَمَ أنها فى حضرتك الآن تضع شيئاً من لسانها فى قلبها ولكنها تختصمنى فى فكرها .

إميليا : لا سبب يدعوك لمثل هذا اللمز .

ياجو : كيف لا ؟ كيف لا ؟ وأنتنَّ النساء حور حين تكنّ خارج البيوت وأجراسٌ حين تكنّ فى الخدور ، وهِرَرٌ برّية فى المطابخ . وقيدّسات حين تتصدين لإهانة أحد ، وشياطين حين يجرُؤ أحد على تكديركنّ وبواهلُ عواطلُ حين تجب خدمةُ المنزل ونشيطاتٌ

مشتغلات بأمور المنزل حين تدخلنَ الأسرّة .

ديدمونه : ويحٌ لك من نمام . .

ياجو : لست بنمام ، هى الحقيقة أو أنتسبَ لأعداء بلادى إنكنَّ إن تنهضنَ فللتنزه أو تدخلن الأسرة فللاشتغال بمسائل البيوت

إميليا : لو ابتغيتُ مادحاً لما استعنت بك .

ياجو : أولى لكِ ثم أولى !

ديدمونه : ولو كلّفت بمدحى ما تقول ؟

ياجو : يا أيتها السيدة الشائقة لا تكلفينى عملاً كهذا لأنك إن طلبتِ منى غيرَ الهجوِ صيرتنى إلى عدم .

ديدمونه : خالف طبعَك وجرِّب . أذهب أحد إلى الميناء ؟

ياجو : نعم يا سيدتى .

ديدمونه : لست منشرحةَ الصدر لكننى أخادع حالةً بضدها . أجبنى كيف تمتدحنى . . . ؟

ياجو : أفكر فى ذلك فما أجد فكرى ينطلق من يَأْفُوخِى إلاَّ وهو منتزع دماغى وسائرَ ما هناك كما يفعل الغِراء

بالوَبَرِ الطويل وقد علق بهِ غير أنه إذا كان لا بد لقريحتى أن تتمخض فهذا ما تلده: «إذا كانت المرأة جميلة وذكية فجمالها لخدمة الآخرين وذكاؤها لاستخدام الجمال».

ديدمونه : أحسنتَ فإذا كانت المرأة سوداء وذكية .

ياجو : إذا كانت المرأة سوداء وذكية وجدتْ رجلاً أبيض لا يرى سوادها سواداً .

ديدمونه : انتقلنا إلى أقبح مما سبق .

إميليا : فإذا كانت جميلة وحمقاء .

ياجو : لا حماقة مع الجمال لأن الجمال يُعينُها على إيجاد وارث لها .

ديدمونه : هذه سفاسفُ قديمة قيلت لإضحاك البلهاء فى الخمارات فإن استزدنا فأى شىء تقوله فى البشعة الحمقاء ؟

ياجو : مهما تكن بشعة وحمقاء فإنها ترتكب من الغوايات ما ترتكبه الحسناء الفطنة .

ديدمونه : ما أكثفَ هذا الجهل ! تصف أقبحَ النساء

بأحسنِ ما عندك . والآن كاشفنا برأيك فى امرأة فاضلة واثقةٍ مِن شرف خلالها بحيث لا تخشَى اللومَ ولا التثريب .

ياجو : المرأة التى عاشت جميلةً ولم تتكبر ، التى لزمت حدَّ الكلام الحرّ فى مناسبته ولم تجاوزه إلى الطنطنة ، التى تَوفَّرَ الذهب بين يديها ولم يطِشْ قلبها ، التى استمالها الغرام فلم تَمِلْ وهى قائلة فى نفسها لو شئتُ لاستطعت ، التى غيظت وملكت الانتقام فأسكتت غيظَها وسامحت فى ألمها ، التى لم تضعُف عندها الحكمة حتى ترضى بذَنَب كلب البحر بديلاً من رأس المرجانة ، التى ذكا فكرُها ولكنها لم تتجه بهِ إلى كشف محاسن نفسها ، التى لمحتْ المحبين يُهْرَعُونَ وراءَها ولم تلتفت . تلك إنسانة لو وجدت ومثلها لا يوجد . . .

ديدمونه : لو تسنى وجودُ تلك الموصوفة فما تقول فيها ؟

ياجو : أقول إنها كانت أصلح النساء لإطعام الأغبياء وتدبير حسابات الفنادق .

ديدمونه : بئست النتيجةُ العرجاءِ الكسيحة . لا تتعامى منهُ هذا العلم يا إميليا ولو أنهُ قرينك . ما رأيكَ فيهِ يا كاسيو أليس هجّاءً شديد الاستباحة عن غيرِ خِبْرة .

كاسيو : يتكلم بلا تصنُّعٍ ياسيدتى ولكنهُ يعجبك بسيفه أكثرَ مما يعجبك بلسانه .

ياجو (على حدة) : وضع يدَه فى يدها . أحسنتِ أحسنت . ناجها همساً . متى وجدتُ مِصْيدةً من نسيج العنكبوت رقيقةً كهذه الحاشية لم يصعُب علىّ أن آخُذ بها ذبابةً لو بلغ حجمُها حجمَ كاسيو . نعم ابتسمى له . تمتع . سأتصيدك بِلِيُونَةِ أدبك . كل ما تقوله صحيح . . . بلا ريب وذمتى . كان خيراً لك وأنت عازم على استبقاء منصبك ألا تجعل أصابعك الثلاثة فى فمك تُوسِعُها تقبيلاً لترى

الحسناء أنكَ شاب جميل . . . أحسنت . هكذا لثمُ الأصابع . ما ألطفَ هذه المجاملة . . فى الغاية فى الغاية . . . ما هذا ؟ أتعيد أصابعكَ إلى فمك مرة أخرى ؟ ما أشوقنى لرؤية تلك الأصابع تتحول عند حاجتك إلى أنابيب محقنة . (يسمع بوق عسكرى) لقد جاء المغربى عرفت بوقه .

كاسيو : نعم هو هوَه[1] .

ديدمونه : بَدارِ لملاقاته .

كاسيو : بل قد أقبل (يدخل عطيل ورهط من أتباعه)

عطيل : يا حبيبتى الشجاعة .

ديدمونه : يا حبيبى عطيلاً .

عطيل : لا يعادلُ سرورى بلقائك إلَّا إعجابى بأن أراكِ تقدمتِنِي يا بهجة حياتى . لو كانت جميعُ العواصف تنتهى إلى مثل هذا الصفاء فليت الرياحَ تزأر حتى توقظَ الموتى وليت فُلْكِى وهى تعانِدُ المعاطب ترتفعُ بها جبالٌ من الأمواج عالية كالأولمبس[2] ثم تنحدر

(١) هذه الهاء توضع للوقف . (٢) اسم جبل شهير ببلاد اليونان .

بهاَ إلى الحضيض البعيد بُعْدَ جهنمَ عن السماء ! أما والذى بيده نفسى لوددت أن أموت الآن من فرط ما أنا فيهِ من السعادةِ المطلقة التى أخشى ألا يعاوِدَنى مثلُهاَ فى المستقبل المجهول !

ديدمونه : أعفانَا الله من أن يُنْتقَصَ حُبُّنا وهناؤنا قبل أن يحين أجلناَ

عطيل : أجيب بآمين على هذا الدعاء يا أيتهاَ السماواتُ الرحيمة لا أستطيع الإفصاحَ عمَّا أنَا فيهِ من الغبطة كما أتمنى. يكاد السرور لشدته يقطعُ علىَّ أنفاسى . لتكن هذه القبل (يقبّلها) غايةَ ما يبلغـه قلباناَ مِنَ الخصامِ والشِّقَاق .

ياجو : أنتما الآن على أتم اتفاَق ولكنَ أقسم بنزاهتى إلَّا ما أرخيت الأوتارَ التى تخرج هذه النغماتِ المؤتلِفة.

عطيل : هلمّ بنا إلى القصر، أناَ حاملٌ إليكم بشرى يا أصحابى.. انتهت حروبُنا بغرق الأعداء، كيف حال الذين عرفناهم قبلاً من أهل هـذه الجزيرة ؟ أى حبيبتى

سيقيمون لكِ أفراحًا عظيمة فى قبرس ولى عند ساكنيها مودَّة أعتدُّ بها ، أى حبيبتى إننى أُكْثِرُ من الكلام بغير ما يجب وأكادُ أهذى من وَفْرَةِ ابتهاجى ، أرغب إليك يا أمينى ياجو أن تذهب إلى المرفأ وتحمل إلىَّ أشيائى ثم أُدع رئيسَ الملّاحين إلى القلعة فهو ذو براعة توجب له الإكرام . تعالى يا ديدمونه ، على الرُّحْبِ والسَّعَة نزولك فى قبرس .

(يخرج عطيل وديدمونه)

ياجو (مخاطباً ردريجو) : اصحبنى حالاً إلى المرفأ . تقدَّم إن كنتَ شجاعاً ، يزعمون أن سِفْلَةَ الناس متى عَشِقوا اكتسبوا من شرف النفس ما يفوقُ فطرتَهم ، فأصغِ إلىَّ : الملازم يسهر الليلة بين الحرس واعلم أن ديدمونه مغرمةٌ متيمةٌ به .

ردريجو : مغرمة به ؟ هذا غير ممكن .

ياجو : أقْفِلْ شفتيك بإصْبَعِكَ هكذا وتعلم . . ألم تلمح بأية قوة أحبت المغربى ابتداءً وذلك لمفاخراتِهِ والأكاذيبِ

الوهمية التى قصها عليها ؟ أتُراها تحبهُ أبدًا لأمثالِ هذه الثرثرات ؟ ستتوق عينها إلى منظر جميل وأى شعاعٍ تجدُهُ حينئذٍ برؤية ذلك الشيطان . متى بَرُدَ الدم بعد جُهدِ المداعبة الغرامية كان لا بدَّ لإيقادهِ ثانية ولإدخال جُوعٍ جديد على الشِّبَعِ من جاذِبٍ فى الملامح ، وتناسبٍ بين العمرين ، وتوافقٍ فى العاداتِ ، وتشاكل فى المحاسن ، والمغربى خُلْوٌ من هذه الأشياء وأمثالِهَا ، فأمَّا وهذه المُشوِّقاتُ مفقودةٌ منهُ فمن المحقق أن تلك النفسَ الرقيقةَ سترى كيف خدعها ولا تلبث أن يأخذها الفُواقُ (١) تَقَزُّزاً (٢) منهُ ، وأن تَقْلاَهُ وتُبْغِضَهُ فحينئذٍ تندفع بدافع الطبيعة إلى رجل آخرَ تؤثره . فإذا ثبتَ هذا ياسيدى وهو تقدير بديهى لا شبهة فيهِ بقى أن الرجل الذى فى طريق السعادة إنما هو كاسيو ذلك الضِّحْكةُ العشاق الذى لا يتسعُ ضميره لأكثرَ من تزويق

(١) الفواق تعرفه العامة بالظغطـّة . (٢) استنكاراً واحتقاراً .

شكله بمظاهرِ الأدب والحشمة يخفى بها ما تحتها من أهوائه الفاسدة المنحرفة . وأيمُ الحق إنهُ لفى أحسنِ جادَّة[1] تبلغه هذه الغاية خصوصاً مع ما هو عليهِ من اللُّيونةِ والتلطُّف لمقاصده ومن التعود على انتهاز الفرص السانحة التى ربما خلقها بدقة نظره ورشاقة حيلته فهو هُزَأة رجيم وفوق ذلك شاب وجميل إلى سائر الصفات التى تَختَلِبُ بها ألبابُ مجنونات الغرام ثم إنه يتصل كالمرض المُعدى وحسبك منه أن المرأة قد لمحته .

Desdamona

رودريجو : لا أصدق ما تدعيه لأنها ميالةٌ إلى الفضيلة كل الميل .

ياجو : كفى عن فضيلتها وأكلّمك عن أذْنَابِ التين . لو كانت كما تتوهم لما أحبت المغربى . بل إن بها صلاحاً ولكنه صلاح القطعة من حلوى البودنج . ألم ترها لاعبة بمَقْبِضِ يده ، ألم ترها ؟

رودريجو : بلى رأيتها غير أنها مجاملة لا شُبهةَ معها .

---

(١) الطريق القويمة .

ياجو : قسماً بيدى لا مجاملة ، ولكن مغازلة . لم تكن السبَّابة[١] أول الدهر إلا المستهلّةَ[٢] الخفيةَ لتاريخ الأفكار الأثيمة والمحرمات الشهوية . أوشك ثغراهما أن يلتقيا وتلاثم نفسَاهما . ذلك من ضروب الشروع فى الجريمة يا ردريجو ، وأمثالُ هذه المجاملات متى افتتحت السيرَ ففى العادة أن يتبعها القائد ومعظمُ الجند على الأثر والعاقبةُ الالتحام . خلِّ عنك هذا يا سيدى ودعْنى أَقُدْكَ بما أننى أحضرتك من البندقية . كن فى عَسَسٍ[٣] هذا الليل وسأسِرُّ إليك الشِعَار[٤] . كاسيو لا يعرفك وأنا أكون قريباً منك . استنبط وسيلة لإغضاب كاسيو سَوَاءٌ بمخاطبته جهراً أم بالسخرية من نظامه أو بأى سبب آخر تختاره والأسباب ستكون متوافرة فى تلك الساعة .

ردريجو : سأفعل .

---

(١) ثانية الأصابع بعد الإبهام . (٢) المفتتحة . (٣) حرس .
(٤) سأقول لك كلمة المرور فى المواقع العسكرية .

ياجو : إنه يا سيدى غضوبٌ وله مفاجآت فى كدره وربما ضربك . . حرّكه حتى يفعل وعندئذٍ أنتهز الفرصة أنا لإثارة فتنة بين شعب قبرس تكون خاتمتُها لا محالة عزلَ كاسيو وهكذا يُختصَرُ سفرك إلى غايته بما أكيده من المكايد لتحقيق هذه الأمنية ويزولُ من وجهك هذا الحائلُ الذى لا ندرِك مع وجوده مرامَنا .

ردريجو : إذا سنحت فرصة لم أتردد .

ياجو : ستجد الفرصة عن يقين . الحق بى إلى القلعة بعد هنيهة وأنا ذاهب إلى المرفأ لأبعث إليهِ بثقَلِهِ[1] . إلى اللقاء .

ردريجو : إلى اللقاء .

ياجو : أن يحبها كاسيو ذلك صحيح وأعتقده وأن تحب هى كاسيو ذلك محتمل وسهلُ التصديق . المغربى — على كرهى له — شريفُ الخلق ثابتٌ فى حبه ولعله يكون

---

(١) محمول المسافرين من ملابس ونحوها .

لديدمونه بعلاً وفياً لكن أنا الآن أحبها أيضاً لا لشهوة تُقضَى - وإن كان الإحساسُ الذى يدفعنى إليها لا يقل عن ذلك إجراماً — بل لأنها تهيئ لى سبيلَ انتقامى ذلك لأننى أظن أن المغربى الفاسق قد اندسّ فى فراشى وهو تخمينٌ يأكل الأمعاء أكلَ السمّ المعدنى ولا شىءَ يُرَفِّهُ[1] عن نفسى إلاّ أن أجعَلَه عديلى، امرأةٌ بامرأة، فإن لم أستطع فأنْ أثير فيه من نار الغيرة ما لا يقوَى عليه العقل. ولإدراك هذا المرام أرجو أن يطاوعنى ذلك النشّاقُ[2] الحاذقُ الذى جلبته من البندقية بلا كمامة فإذا تبع الأثرَ جيداً لم ألبث أن أملك ميشيل كاسيو عاجلاً من كُلْيتيه وأن أسوِّدَ وجههُ فى نظر المغربى تسويداً تامّاً لأننى أخشى أيضاً أن يكون بين كاسيو المذكور وبينَ القُبّعَةِ التى ألبَسُها للنوم عَداوة يسعَى لإزالتها[3]

---

(١) يخفف . (٢) يصف رودريجو بصفة الكلب . (٣) إشارة إلى اشتباهه فى ريبة ينويها كاسيو لامرأة ياجو .

ثم أريد أن يحبنى المغربى وأن يشكر لى بالحمد والمكافأة جعلى إياهُ جَحْشاً بيِّناً وإقلاقى راحتَهُ وإفسادى سعادته إلى أن يُجَنَّ جنوناً . هذا مبدأ الخُطَّةِ التى رسمتها هنا (يشير إلى جبهته) لمكيدتى . هى خُطةٌ لا تزالُ بجملتها مبهمة ولكنَّ وجهَ الخديعة لا ينكشف إلاَّ إذا أتمت الخديعة فعلها .

المشهد الثانى

طريق

(يدخل منادٍ بيده قرطاس والشعب يتبعه)

المنادى : اقتضت مشيئة عطيل قائدنا الشريف الباسل بناءً على ما ورد من الأنباء المحققة بدمار أسطول الأعداء أن يعيِّد الأهلون سروراً بهذا الحادث بعضُهمْ بالرقص وبعضهم بإطلاق السهام النارية وكلٌّ بالملاهى والألعاب التى يؤثرها . ذلك لأن هذا اليومَ عدا

ما جاء فيه من الأخبار السارة يومُ الاحتفال بقرانه. وقد أمرنا بإبلاغ الشعب أيضاً أن جميعَ مطاعم القصر ومقاصِفه مفتوحة ولمن يشاء أن يأكلَ فيها ويشربَ منذ هذه الساعةِ الخامسة إلى أن يُقرَعَ جَرَسُ الساعة الحادية عشرة. بارك الله فى جزيرة قبرس وفى قائدنا الشريف عطيل.

المشهد الثالث

رَدْهة فى القصر

(يدخل عطيل وديدمونه وكاسيو ونفر من الحاشية)

عطيل : يا عزيزى ميشيل ارقُب الحرسَ الليلة ولنعين لمسرّاتنا المدى الذى يقتضيهِ العقل لئلا نتجاوَزَ نحن الحدّ الذى يُجيزه التصوُّن[1].

كاسيو : أُمِرَ ياجو بما يجب وسأرقب العَسَسَ بنفسى

عطيل : ياجو أمين جدًّا، طاب ليلكم، نلتقى بكرة غد

(١) صون النفس عما لايحمد.

يا ميشيل لحاجةٍ بى إليك . (إلى ديدمونه) تعالىْ يا غرامى لنذوقَ من جَنَى ما كسبنا ذلك النعيم الذى لم نَذُقهُ إلى الآن ، طاب ليلكم .

(يخرج عطيل وديدمونه والحاشية)

(يدخل ياجو)

كاسيو : مرحباً بك يا ياجو ، علينا الحراسة .

ياجو : لم تجئ الساعة العاشرة أيها الملازم وإنما صرفنا قائدنا الليلة قبل الأوان من أجل غرامهِ ولا ملامَ عليهِ لأنهُ لم يقضِ إلى الآن ليلة كاملة مع ديدمونه عَلى كَوْنِها قطعة تليق للمشترى[1] .

كاسيو : إنها لسيدة شهية جدًّا .

ياجو : ومحبة للعب . أحلف لها عَلى ذلك .

كاسيو : وعندى أنها أنضرُ المخلوقات وأرقُّهَا .

ياجو : ثم إن لها نظرةً إليك أدعى ما تكون إلى البِرَاز .

كاسيو : نظرة إقبال ولكن عن سلامة .

---

(١) كبير الآلهة عند اليونانيين الأقدمين .

ياجو : وإذا تكلمتْ ألاَ يُخالُ من صوتها أن ديانا[1] تضرب نَغْمةَ الغرام على توقيع حربى .

كاسيو : هى الكمالُ مجسماً ولا مراء .

ياجو : لندع السعد يتبطنْ لحافهما وتعال أيها الملازم ندخل إلى هذا المكان فقد خبأتُ فيه إبريق نبيذٍ وهناك بعض الكرام القبرسيين يُسَرُّون بشرب نَخْبٍ فى صحة عطيل الأسود .

كاسيو : لا أشرب الليلة أيها العزيز ياجو لأن رأسى من أضعف الرؤوس وأقلّها تحملاً للخمر وكان بودّى لو أنَّ الأدبَ اخترع لنا وسيلة غيرَها للتودد والتجامل .

ياجو : الضيوف من أصدقائنا ولا تشرب إلاَّ كوباً واحداً بل أشربهُ عنك .

كاسيو : ما تعاطيت الليلة إلا كوباً واحداً مقتولاً (بالمزج) ومع ذلك قد بدا علىَّ أثره . إنى أسيفٌ لهذا الضعف

---

(١) إلهة الصيد .

ولا أَجْرُؤ أن أحمل نفسى كوباً آخر .

ياجو : أتصرّ على الامتناع أيها الصديق والليلة ليلة عيد وأصدقاؤنا يتَمنَّوْنَ مساقاتَنا النخوب .

كاسيو : أين هم ؟

ياجو : بالباب أرجو أن تذهب وتدعوهم .

كاسيو : سأفعل ذلك ، على أنهُ لا يعجبنى .

ياجو : إذا استطعتُ أن أَسْقِيَهُ كأساً غير التى شربها قبلاً امتلأ من الخصومةِ والسباب كامتلاءِ الكلب الذى تَعُولُه مولاتى الجميلة . . . ومن جهة أخرى فإن ردريجو رفيق المريضَ الأبلهَ الذى قلب الحب دماغه قد شرب الليلة كأساً بعد كأس تكريماً لديدمونه وسيكون مع العسس وهناك أيضاً ثلاثة من فتية قبرس كرماءِ النفوس شديدُو التحمس فى مسائل الشرف لو اندفعوا فى كريهة اندفع معهم جميع سكان قبرس الشجعان قد سقيتهم إلى الشَرَق وسيكونون من الحراس . بقى علىّ أن أستفز كاسيو

بين هذا القطيع من السُّكارَى المدمنين لإتيان أمر
يعتدونه مُهيناً للجزيرة وأهلها ، لكن أراهم قادمين
ولئن طابقتِ النتائجُ مُقدَّماتِ تدبيرى سارت
سفينتى على ما أشتهى بمعونة المدّ وموافقة الريح .

(يدخل كاسيو ثم منتانو ثم أعيان آخرون ثم خدم يحملون آنية الشراب)

كاسيو : لقد أوصلونى إلى حد النشوة .

ياجو : هاتوا خمراً . (يتغنى) :

دعونى أرنّن الدنّ
دعونى أرنّن الدنّ
ما الجندى إلا إنسان
ما العمر إلاَّ دقات
خلوا الجندى يشرب ما شاء
هاتوا نبيذاً يا أولادى

كاسيو : بالله أنشودة جميلة .

ياجو : تعلمتها فى إنجلترة التى أهلُهَا أقدر الناس على تَفْرِيغ
الدِنَان بلا نزاع أما الدانمركيون والألمان والهولنديون

ذَوُو البطون الكبيرة . هاتوا خمرًا . فإنهم لا شيء فى مقابلة الإنجليز .

كاسيو : وهل الحقيقة على ما تصف ؟

ياجو : الواحد منهم يعاطى الدانمركى حتى يدَعَهُ ميِّتًا من السكر وهو لم يتعب ، كما أنه يغلِبُ الألمانى فى هذا المجال ولا يَعْرَقْ ، فإذا ناظر الهولندى أرسلَه يتقايأ قبلَ أن يملأ الزق الثانى .

كاسيو : فى صحة قائدنا .

منتانو : اشرب هذا النَّخْبَ أيها الملازم وأنا قريعك مهما ترفع الكأس .

ياجو : واهًا لإنكلترا الشائقة (ينشد) :

كان الملك إتيين نبيلاً شريفاً
يشترى سراويلاته بتاج[1]
ويظنهُ مغبونًا بستة بنسات من الثمن نقدًا
يلقب الطرْزى[2] بالضِّحْكة

---

(١) نقد مسمى هكذا . (٢) خياط الملابس .

كان شابًا بعيد الشهرة
وأنتَ لست إلاَّ رجلاً دنيئاً
الكبرياء مضيعة للأمم
فقم وتدثَّر بدثارك العتيق

(نبيذاً يا غلمان)

كاسيو : بذمتى لهذه الأغنيةُ ألطفُ من الأولى .

ياجو : أتريد أن أعيدها عليك .

كاسيو : لا . لأنى أعتقد أن من يعمل مثل هذه الأعمال غيرُ جدير بمنصبه ، على أن الله فوق العباد والعبادُ فريقان يوم الدين ، ناجون وغيرُ ناجين .

ياجو : هذا حقٌّ أيها الملازم الكريم .

كاسيو : أما أنا فأرجو أن أكون ناجياً ولا يؤاخذُنى فى ذلك القائد ولا أىُّ رجلٍ ذى مكانة .

ياجو : وأرجو النجاة لنفسى مثلك .

كاسيو : نعم ولكن بعدى لأن الملازم يجب أن ينجو قبل حامل العلم ، لكن حسبُنا حديثًا فى هذا المعنى ...

لنلتفت إلى شؤوننا اللهمَّ اغفر لنا خطايانا .
أيها السادة لنلتفت إلى شؤوننا ... لا تظنوا أنى سكران يا سادتى هذا حامل علمى ، وهذه يمناى وهذه يسراى ، لستُ سكران البتة . أستطيع الوقوف قويمًا والتكلم حسنًا .

الجميع : حَسنًا جدًّا .

كاسيو : على المرام . إذن لا ينبغى أن تظنونى سكران .

منتانو : إلى الرِّوَاق يا سادتى نُرتبُ العسس (يخرج كاسيو)

ياجو : أتنظر هذا الرفيق الخارج الآن ؟ هو جندى لائق للخدمة تحت إمرة قيصر ولتولى القيادة العامة . إلاَّ أنه مصابٌ بهذه الآفة كما ترى وهذه الآفةُ بالغةٌ منه مبلغَ فضله فهو بينهما شطران مستويان . غبن عظيم . وإنى لأخشى أن تكون الثقة التى لعطيل به سببًا فى زلزلة الجزيرة إذا حمله السكر يومًا على منكرةٍ من منكراته .

منتانو : أكثيرًا ما يكون على مثل هذه الحالة .

ياجو : هذه الحالة تكون على الدوام مقدمةً لمنامه . وإذا لم تُرْقِدْهُ النشوةُ فقد يَقْضِى يومه بليله مستيقظاً .

منتانو : يحسن أن يُنبَّـهَ القائد إلى هذه الخلَّة فقد لا يراها فيه وقد تكون الفضائل التى يحدهـا عنده حاجِبةً نَظَرَهُ عن عيوبه . ألا ؟

(يدخل ردريجو)

ياجو (مخاطباً إياه على حدة) : ما أتى بك يا ردريجو . اذهب عَدْوًا وأدرك الملازم اذهب . (يخرج)

منتانو : من الحيف أن يعرِّضَ المغربى العظيم للخطر منصباً ذا بال كمنصِبِ نائبه بتركِه إياه بين يدىْ رجل مصاب بآفة كهذه لا يرجى شفاؤه منها ومن المروءة أن يُفاتَحَ فى هذا الشأن .

ياجو : أنا لا أفعل ولو أعطيت هذه الجزيرة كلَّهَا بدلاً من إقرارى لأننى أحب كاسيو وبودى لو أستطيع شفاءَه مهما أبذل فيهِ من مرتخص وغال لكن أسمع صوتًا . . . ما هذه الجلبة ؟

(يعود كاسيو دافعاً أمامه ردريجو)

كاسيو : يا خسيس . . يا نذل .

منتانو : ماذا جرى يا ملازم .

كاسيو : غبيٌّ يعلمنى واجبى ، سأضربه ضربة تسحَقُهُ حتى يدخل فى زجاجة .

ردريجو : تسحقنى ؟

كاسيو : أتثرثر يا دنيء .

منتانو : حلمًا يا سيدى الملازم ، أضرع إليك ، اكْفُفْ يدك

كاسيو : دعنى ، أنت يا سيدى ، وإلاَّ كَسَرْتُ فكّك .

منتانو : كفى كفى أنت سكران .

كاسيو : سكران ؟ (يتضاربان بالسيوف) .

ياجو (مخاطباً ردريجو على حدة) : طر وصح فتنة فتنة .

(يخرج ردريجو) حلمك أيها الملازم الكريم. أسفًا يا أيها السادة . المعونة يا للناس . سيدى الملازم . سنيور منتانو . المعونة . نعمَ الحراس (يقرع جرس الخطر) من يقرع هذا الجرس قف . ستستيقظ المدينة . يا قوة الله . هَدِئْ غضبك أيها الملازم ، ستُلْحِقُ بنفسك عارًا خالدًا .

(يدخل عطيل يليه نفر من الحاشية)

عطيل : ماذا يجرى هنا

منتانو : تالله إن دمى ليسيل بلا انقطاع ، وإنى لجريح جرحَ الموت .

عطيل : كفّا إن كنتما تأبهَانِ[1] للحياة .

ياجو : حسبك يا ملازم ، حسبك يا منتانو ، أنسيتما أين أنتما ، وما يجب عليكما ؟ قفا ، إن القائد يخاطبكما ، اخجلا وقفا .

عطيل : كُفُّوا هذا القتال البربرى ومن اجترأ منكم أن يخطو خُطوةً بعدُ لشفاءِ غليله فنفسه لا قيمةَ لها عنده وإنى لَمُورِدُهُ حتفَه لأولِ حَراكٍ يبدو منه . أسكتوا هذا الجرس الذى يفزع الجزيرةَ ويوقظها فى هلع . ماذا جرى يا سادة ؟ أنت يا ياجو الأمين الذى شُجِبتَ[2] شحوبَ الموت من الحزن ، تكلم مَن البادئُ بهذه الخصومة .

---

(١) تكترثان . (٢) تغير لونك .

ياجو : ما أدرى .. كانوا أصفياء منذ هنيهة كأصفى ما يكون العروسانِ حين يخلعان ملابسهما لدخول السرير فما شعَرتُ إلَّا وكأن سيّارةً من السماءِ بذرتْ بينهما الشقاقَ فانتضيا سيفيْهما وتهاجما يتثاخنان . كيف كان مبدأ هذه المبارزة ؟ لا أعرف . ولكننى كنت أود لو فُقِدتْ ساقاى فى حرب شريفة ولم تحملانى إلى هذا المشهد .

عطيل : أىُّ شىء يا ميشيل أنساك الواجب إلى هذا الحد ؟

كاسيو : عفوك يا سيدى لا أستطيع التكلم .

عطيل : يا منتانو الشريف أنت متعود اجتناب المُزرِيات[1] وكنتَ فى أيَّام شبابك ساكِناً وقوراً يجلّك الناقدون الحازمون فما دعاك لإلقاء هذه الشُّبْهَةِ على سمعتك واستبدالِ لقب « معربد ليلىّ » بما كان لك من الكرامة العزيزة ؟ أجبنى .

منتانو : أى عطيلُ الشريف ، لقد جرحتُ جرحًا مُوبِقاً[2]

---

(١) المخجلات . (٢) مميتاً .

يُجْهِدُنِى معهُ الكلام وإن ضابطك ياجو ليقدر على إنبائك بكل ما أعلم . على أننى لم أقل الليلة ولم أفعل شيئاً أُلامُ عليهِ ، إلاَّ إذا كان رفقُنا بنفسنا فى بعض الأحيان عيباً ، وكان دفاعُنا حين يعتدى علينا إثماً .

عطيل : بالله العظيم لقد أخذ دمى يملك علىَّ جوانحى بدل الروية والتؤدة وطَفِقَ الرِّجْزُ يتغشى بصيرتى ويدفعنى إلى ما أكره ، ولو خطوتُ خطوة أو حرَّكتُ هذه الذراع لسقط خيركم يتخبَّطُ تحت غضبى . نبّئونى كيف ابتدأتْ هذه الخصومةُ القبيحةُ ومن أثارها فلئن كان شقيق وتوءمى الذى وُلد ساعة مولدى ، لأقصيَنَّهُ عن نعمتى . يا عجباً ! ! أيدار قتال فى موقع حربى لا يزال أهلُهُ فى تأثر شديد وخوْفٍ مُرْهق[1] ؟ ومتى ؟ فى ظلام الليل . وأين ؟ بين فصيلة الحرس . إنه لأمر فظيع ، أى ياجو من بدأ هذه الخصومة ؟

---

(١) شديد .

منتانو : إذا لم تقلِ الحقيقة مراعاةً منك للصحبة أو للمزاملة فلست بجندى

ياجو : لا تحرجونى بهذه القوة خير لى أن يُنْتَزَعَ لسانى من التفوُّه بلفظةٍ تكدّر ميشيل كاسيو ، غير أننى واثقٌ من أن الذى سأذكره لا يُضِرّ بهِ فتيلاً ، فاسمع ما جرى أيها القائد : بينما كنَّا نتسامر أنا ومنتانو دخل رجل يستغيث وكاسيو متبعاً إياه يريد ضربه بسيفه المسلول فتصدى هذا الشريف لكاسيو يلتمس منهُ العفو عنهُ ، وتبعتُ أنا ذلك الرجل المُسْتَصْرِخ لمنعه مِن اهتياج الأهلين بِصَيْحَاتهِ كما فعل ، على أن الرجل كانَ أسرع منى عدوًا فما لبثتُ أن تركتهُ ورجعت ، فإذا أنا بنَصْلتين تتلاقيان وتَصِلَّان وبكاسيو يَقْذعُ[1] بألفاظه قَذَعًا ما سمعتهُ منهُ قبل الآن ، على أننى ما كدتُ أبلغهما حتى كانا قد تركا النصلتين وشرعَا يتراكلان[2] ، ولا أقدر أن

---

(١) يسب . (٢) يتضاربان بالأرجل .

أقول شيئاً آخر عن هذه المسألة غير أن الرجال إنما هم رجال وخيرهم قد يَسْهُو ويخطئ ، فلئن كان كاسيو قد أهانَ هذا الرجل الكريم ، ومع الغضب ربما ضرب الإنسان أصدقَ الناس مودَّةً له ، فلا بدَّ أن كاسيو قد لقى من الرجل الذى هرب إهانةً بَشِعَةً ذهبتْ بصبره .

عطيل : يا ياجو إن نزاهتك وصداقتك تحملانك على تلطيف الأمر ليكون أقلّ وِقْراً على كاسيو ، ولكن اعلم يا كاسيو أننى أحبّك وأنك لن تكون ضابطى أبد الدهر .

(تدخل ديدمونه وحاشيتها)

عطيل : انظروا إن حبيبتى وخالِبَةَ لُبِّى قد استيقظت بسبب الجَلَبة . (إلى كاسيو) سأجعلك عِبْرَةً وعظة .

ديدمونه : ما الذى حدث ؟

عطيل : كل شىء على ما يرام الآن يا حبيبتى ، عودى إلى

سريرك (إلى منتانو) سأكون بنفسى آسِىَ[1] جراحك، انقلوه (ينقل منتانو) اذهب يا ياجو وطُفِ المدينةَ وأمّنِ الخائفين. تعالى ياديدمونه من حياة العسكرى أن يستيقظ من منامِه على جلبة القتال.

(يخرجون إلا كاسيو وياجو)

ياجو : ما بالك؟ أأنت جريح يا ملازم؟

كاسيو : نعم وبغير شفاء.

ياجو : لا سمح الله.

كاسيو : سمعتى سمعتى، فُقدَ الجزءُ الخالدُ منى. وبقيت البقية الحيوانية، سمعتى ياجو، سمعتى!

ياجو : ظننتُ، وايْمُ نزاهتى، أنك أصبتَ بجرح بدنىّ، ذلك أشدّ خطراً من الإصابة بجرح فى السمعة، وما السمعة على الحقيقة إلاَّ أكذوبةٌ باطلة تنال فى الأكثر بغير جدارة وتفقد لغير ما سبب. فلستَ بفاقد سمعتكَ إلاَّ إذا أذعتَ أنك فقدتها. تنبه

---

(١) الطبيب المداوى للجراح.

يا صاحبى لا تزال لك وسيلة لاستعادة رِضا القائد
فقد عزلكَ فى ساعة غضب لا عن سياسة ولا عن
مكر ، بل كما يفعل الذى يضرِبُ كلبه ولم يذنب ،
لِيُرْهِبَ أسداً هَصُوراً ، استعطفه عليك ينعطف .

كاسيو : أفضّل أن ألتمس من الناس تحقيرى على خديعة مثل
هذا القائد العظيم بأن أعرض عليه أن يستعيد ضابطاً
نَزِقاً سكيراً قليل الاحتراسِ فى هذا الحد .

ياجو : "أنت وكل حىّ عرضة للسكر فى ساعة ما أيها الصديق .
خذ عنى الآن ما ينبغى لك عملهُ . إن امرأة قائدنا هى
التى أصبحت قائِدَنَا ... لأنه قد انصرف كلّ الانصراف
إلى تمتيع نظره وقلبه بمحاسنها ومكارم أخلاقها . .
فاذهب إليها وأَقْرِرْ بذنبك صريحاً والتمس منها
بإلحاح وإلحاف أن تعينك على العَوْدِ إلى منصبك فلا
تلبثُ أن تشفع لك عنده إذ أن سماحة فِطْرَتها تجدُ
من الرذيلة عَدَم الإجابة إلى أكثر مما يطلب منها .

كاسيو : أسديتنى خير نصيحة .

ياجو : كن واثقاً أنها نصيحة خُلوصٍ وحسن نية .

كاسيو : أنا واثق مما تقول وسأذهب من بكرة غد إلى ديدمونه الطاهرة وأبتهل إليها أن تتولى أمرى فإذا لم يسعدنى الحظ مع وَساطتِها فقدتُ كلَّ رجاء .

ياجو : إنك لفى المنهاج السوىّ . طاب ليلك أيها الملازم . يجب أن أسهر فى العسس.

كاسيو : طاب ليلك أيها الصفي ياجو .

ياجو : هل لجرىء أن يزْعُمَ أننى أمكر مكرًا سيئًا حين أنصح نصيحة كهذه خالِصَةً صريحة سهلةَ التحقيق لا وسيلةَ غيرَها لكسر شرّة المغربى واستعطافه . أم هل أكونُ غدّارًا حيث أشير على كاسيو بالخُطةِ التى تُوصِّلُهُ تَوًّا إلى فائدته ؟ إيه يا آلهة سقر متى أراد الزبانية[1] الإيعازَ بأشنع الخطايا صوّروها فى المبدأ بأبدعِ الصور السماوية كما أفعل الآن ، لأنه بينما ذلك الأبلهُ السليمُ الطوية يسعى لدى ديدمونه

---

(١) الشياطين .

لاستعادة مكانته ، وبينما هى تشفع له عند المغربى بقوة ، أدسُّ أنا فى أذن عطيل سُمَّ الريب فى حقها بما أدخله على قلبه من أن رقَّتها لكاسيو ليست عن مبرّة ولكن عن شَغَفٍ أثيم . ثم بقدرِ ما تزداد إلحاحًا فى التماس الرأفةِ له يزداد تأييدُها لسوء الظن بها عند المغربى ، وهكذا آخُذُها فى فخِّ فضيلتها وأستخرجُ من مروءتها الفخَّ الذى أوقعهم فيه جميعاً .

(يخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

تجاه القصر

(يدخل كاسيو وفصيلة موسيقارين)

كاسيو : يا أساتذتى اضربُوا هنا ، وسأكافئكم على ما تجيدون . اضربُوا لحناً مختصراً لتهنئة القائد بيومه السعيد .

(تعزف الموسيقى)

(يدخل المضحك)

المضحك : مهلاً يا أساتذتى . أذهبت معازفُكم[1] إلى نابُلى[2] فعادت منها بهذه الغُنّة الأنفية .

موسيقى أول : ما قصدك يا سيدى ؟ ما القصد ؟

المضحك : هل هذه الآلات آلات هوائية ؟

موسيقى أول : طبعاً يا سيدى .

---

(١) آلات النفخ الموسيقية . (٢) بلدة فى إيطاليا .

المضحك : هذه نقود أرسلها القائد ويرغب إليكم وديًّا أن تكفّوا هذه الغوغاء .

موسيقى أول : سنمتنع يا سيدى .

المضحك : إن كنتم تعرفون أنغاماً لا تُسمَع فاضربوها . أما الموسيقى التى تُسمَعُ فالقائد غيرُ مولع بها .

موسيقى أول : ليست عندنا الموسيقى التى تشتهيها .

المضحك : إذن ضَعُوا زماميركم فى أكياسكم وانطلِقُوا لأننى ذاهب. تَلاشَوْا فى الهواء . توارَوْا . (يخرج الموسيقيون)

كاسيو : أرجو أن تُحْتَبَسَ مهاراتُكَ عنى . هذه قطعة ذهب ولى إليك رغبة : متى استيقظت السيدة التى تخدُمُ امرأة القائد فقل لها إن رجُلًا يدعى كاسيو يودّ أن تمنحه مقابلتها هنيهة ... أتفعل ؟

المضحك : لم تمضِ إلَّا دقيقةٌ منذ هبطتْ عن سريرها ، وسألقى إليها كلمة لتهبطَ إلى هذا المكان ، إن أرادت .

كاسيو : افعل ذلك يا صاحبى العزيز . (يخرج المضحك)

(يدخل ياجو)

كاسيو : ياجو ، جئت فى ميقاتِ الحاجَةِ إليك .

ياجو : يلوح لى أنك لم تنم .

كاسيو : طلع النهار قبل أن نفترق وقد اجترأت أن أرسل فى طلب امرأتك رجاءَ أن تلتمسَ لى موعداً من الفاضلة ديدمونه .

ياجو : سأبعثها إليك حالاً ، وأحاول بقاء المغربى بحيث تملكان الوقت الكافى للتكلم فيما لك من الشأن .

كاسيو : شكراً لك جزيلاً (يخرج ياجو) لم أعرف قطّ فيورنتيًّا أمضى فى الخيرِ وأشدَّ وفاءً .

(تدخل إميليا)

إميليا : صبحك الله بخير أيها الملازم الكريم. أنا حزينة لما أحزنك ، ولكن الأمر سَيُصْلَحُ كما أرجو ، والقائد وامرأته يتباحثان فى هذه المسألة . هى تدافع عنك بقوة ، وهو يجيب أن الرجل الذى جرحته عالى السمعة فى قبرس وله قُرْبَى مَوْشوجَةٌ[1] الأعراقِ

---

(١) متشعبة .

بين كبراءِ الجزيرة فكان لا مندوحة له من عزلك أوْ يخطئَ الرأى ، وإنه ما زال يحبك ولا يحتاج من الوَصاةِ بك إلاَّ إلى ما يوحيه وُدُّه ، فهو سيغتنم أولَ فرصةٍ تسنحُ لردك إلى مكانك .

كاسيو : مع هذا أرجو منك إذا كان فى الإمكان أن تُهيئ لى اجتماعاً بديدمونه أُكلمها فيه على حدة .

إميليا : تفضل واتبعنى أجْعَلْكَ فى موضع تخاطبها فيه براحة وصراحة .

كاسيو : هذه منّة عظيمة .

المشهد الثانى

مسكن فى القصر

(يدخل عطيل وياجو ووجهاء)

عطيل : ادفع هذه الرسائل إلى الملاَّح يا ياجو ولْيُحْمَلْ إلى مجلس الأعيان سلامى . بعد هذا أنا ذاهبٌ للتنزه ومشاهدةِ أعمال التحصين فمتى عدتَ فالقنى هناك .

ياجو : سأفعل يا سيدى الكريم .

عطيل : والآن أيها السادة أنمضى لنرى المعاقل ؟

الوجهاء : سمعاً وطاعة . (يخرجون) .

المشهد الثالث

فى القصر

(تدخل ديدمونه وكاسيو وإميليا)

ديدمونه : ثق ياعزيزى كاسيو أننى سأبذل جَهْدِى لخدمتك .

إميليا : افعلى مشكورة يا سيدتى فإن زوجى شديدُ التألم لهذا المصاب كأنه مصابه .

ديدمونه : نعم الفتى الوفى ! لا ترتبْ يا كاسيو أننى سأعيد الصداقة بينك وبين قرينى كما كانت قبلاً .

كاسيو : يا سيدتى الكريمة، مهما ينتهِ إليهِ أمر ميشيل كاسيو فإنه إلى آخر الدهر خادمُكِ الأمين .

ديدمونه : أعتقد هذا وأحمدك عليهِ . أنتَ تحب مولاى

وتعرفهُ من عهد طويل ، فلا تحسَبْ أنه يدعك مقصيًا عنهُ إلاَّ مُهلَةَ ما تقتضيهِ السياسة .

كاسيو : أجل يا سيدتى ولكن هذه السياسة قد يطولُ أجلُها ، وقد يتخللها من المعاذيرِ التافهة الأسباب والارتباكاتِ التى يجىء بها تحوُّل الأحوال مدةَ انصرافى عن منصبى وحُلولِ غيرى محلِّى ، ما يُنسى قائدى خُلُوصَ حبى له وسوابقَ خِدَمِى .

ديدمونه : لا تداخلكَ هذه الخشية. أضمنُ لك منصبَك بشهادة إميليا وأيقنْ أننى متى وعدتُ وَعْداً وُدِّيًا وَفَّيْتُ بهِ إلى آخر حرف منهُ . سأظلُ ملحَّة عَلَى مولاى مكرّرةً لديهِ التماسى حتى أرُدّه عن جماحهِ بل سأجعل فراشه شبهَ مدرَسة، ومائدته شبه خَلْوةٍ للاعتراف، وأدخل فى كل مشاغله طلب كاسيو . ذلك لأن محاميك يؤثر الموت على ترك قضيتك .

إميليا : سيدتى هذا سيدى قادماً .

كاسيو : سيدتى إذنكِ بالانصراف .

ديدمونه : امكث واسمع ما أقوله له .

كاسيو : الآن لا ، يا سيدتى ، لأننى فى أشد الانزعاج وغير كفء لخدمة مصلحتى .

ديدمونه : افعل ما تستصوب .

(يدخل عطيل وياجو)

ياجو : أُفٍّ ما أحب هذا .

عطيل : ماذا تقول ؟

ياجو : لا شىء يا سيدى . . أو . لا شىء .

عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذى فارق امرأتى الساعة ؟

ياجو : كاسيو يا سيدى ؟ يقيناً لا . ما أظن . . لو كان هو مَا فرّ فِرَارَ المجرم حين رآك مقبلاً .

عطيل : أظنهُ إياه .

ديدمونه : كنت يا سيدى أخاطبُ ذا حاجة . رجلاً حزيناً فى الغاية لانصرافك عنهُ .

عطيل : من تعنين ؟

ديدمونه : ملازمَك كاسيو . أى سيدى لئن كانت لى حُظْوَةٌ

فى عينيك وقُدْرةٌ على استعطافك إنَّ رجائى أن تتفضل عليهِ وتصفح عنهُ لأنه رجل صادق الحب لك . وإنما أخطأ عن جهل لا عن عمد وإلَّا خابت فِرَاستى فى وجوه الأوفياء . أبتهل إليك أن تعيده إلى منصبه .

عطيل : أهو الذى كان منصرفاً من هنا ؟

ديدمونه : نعم هو . وكان كئيباً كآبة تركت فى نفسى أثرًا من حزنه وَشَطْرًا من ألمه . يا حبيبى ناشدتك غَرامَنا إلَّا ما أرجعتهُ .

عطيل : الآن لا ، يا ديدمونتى الرقيقة ، ولكن فى وقت آخر .

ديدمونه : أيكون هذا الوقت الآخرُ قريباً ؟

عطيل : أقربَ ما يكون إكراماً لكِ يا عزيزتى .

ديدمونه : أعلى العشاء الليلة ؟

عطيل : الليلة . لا .

ديدمونه : أغداً الظهر ؟

عطيل : لن أتغدى فى البيت غداً لأننى سألحق بالضباط إلى القلعة .

ديدمونه : إذن غداً مساء أو الثلاثاء ظهراً أو الأربعاء صباحاً ..
أتوسل إليك أن تعيّن الميقات ولا يزدْ عن ثلاثة أيام ..
إنه وذمتى لنادم على خطيئته وهى فى رأى الأكثرين
ليست من الخطايا التى تستلزم أدنى ملام إلاَّ إذا صدقت
قاعدة القائلين بأنه يجبُ فى الحرب تأديبُ الأمْثَلِينَ
ليعتبر سواهم بهم . متى يعود ؟ قل لى يا عطيل .
إننى لأسائل ضميرى عن شىء تطلبهُ منى ولا أجيبك
إليه أو أتردد فى الإجابة . عجباً أميشيل كاسيو الذى
كان أمينَ سرنا فى غرامنا وكان يدافعُ لدىَّ عنك
حين أذكرك بغير ما يعجبهُ ينبغى لى أن أشفع له بكل
هذا الإلحاف لتصفح عنه . . ما كان أسرعنى لإجابتك
إلى أقصى الرغائب لو بَدَتْ لى منك إشارة .

عطيل : كفى وحياتك .. ليعد حين يشاء .. لا أمنع لك سؤلاً .

ديدمونه : على أن عَوْدهُ لا يعد إحساناً مذكوراً . سألتك إياه
كما أسألك أن تَلْبَسَ قفازيك[1] أو تتغذَّى بطعام أو

---

(١) ما يكسى به الكفان لاتقاء البرد .

تستدفىء من برد أو تفعلَ أى فعلٍ يُفيد صحتك .
لـكن علمت الآن أننى إذا جدَّتْ لى عندك أمنيَّة
كانت تلك الأمنيةُ عظيمةَ الشأن صعبةَ التحقيق .

عطيل : لن أرد لك أمنية فكونى متفضلة وامنحينى هنيهة
أخلو فيها بنفسى .

ديدمونه : أكنت رادّةً لك أمراً . لا . . إلى الملتقى يا مولاى

عطيل : سأوافيك من غير إبطاء .

ديدمونه : تعالى إميليا ، افعل ما يوحيه إليك الضمير . مهما
تَشَأْ فإننى خاضعة .

عطيل : يا لها من شاطرةٍ آخذةٍ بالألباب . أحبك ولو سامنى
حُبكِ عذابَ الآخرة . فإذا انصرفت عن هواك
يوماً . . فهنالك تعاودُنى الفَوْضَى والظلمات .

ياجو : أى مولاى الشريف .

عطيل : ماذا تقول ياجو ؟

ياجو : أكان ميشيل كاسيو يعرف غرامكما .

عطيل : عرفهُ من مبدئهِ إلى نهايتهِ . لمَ هذا السؤال ؟

ياجو : إرضاءً لفكرى لا لشىء آخر ذى بال .

عطيل : وما فكرك ؟

ياجو : كنتُ لا أتخيل أنهُ يعرف ما دار بينكما .

عطيل : بلى وكان يتوسط بيننا أحياناً .

ياجو : أحقًّا ؟

عطيل : أحقًّا ؟ نعم حقًّا . ما ترى تحت هذا ؟ أليس وفيًّا ؟

ياجو : وفىّ يامولاى .

عطيل : وفىّ . بلى وفىّ .

ياجو : وفىّ يا سيدى إلى غاية ما أعلمهُ .

عطيل : صرّح عما فى ضميرك .

ياجو : عما فى ضميرى يا مولاى ؟

عطيل : عما فى ضميرى يا مولاى ، بالله إنه ليجيبنى كرجع الصدى كأنَّ فى طويتهِ شيئاً أبشعَ من أن يكشف عنهُ النقاب ... تضمر أمراً ولا تُبديه . ولقد سمعتك تقول «أفّ ما أحب هذا» عندما كان كاسيو يفارق امرأتى . ثمَّ لما أخبرتكَ إنه كان مُطَّلِعاً على أسرار

غرامنا سبق لِسَانُكَ فكرك وقلتَ « أحقًا » ثمَّ انقبضت أهدَابُ عينيكَ وتَضَامَّتْ كحَوَافى الكيس كأنكَ أردتَ أن تَخبُوَ فى دماغك سرًّا رهيباً . إن كنتَ لى محبًّا فكاشفنى بما تضمر .

ياجو : مولاى تعلم أننى لك محب .

عطيل : أعتقدُ ودّك وبقدر ما أعرف من أنك مفعم ولاءً ونزاهة وأنك تزنُ كلماتِكَ قبل النطق بها فتوقفاتُكَ فى الحديث أشدّ موقعاً منى لأن أمثالَ هذه المحاذرات إنما تكون مراوغاتٍ مألوفةً عند اللئيم الخبيث الكذوب كما أنها تكون عند الرجل الصالح مكاشفاتٍ مبرقعةً تخرُجُ من صدر لم يملك تأثيره .

ياجو : أجرؤ على الإقسام بأن ميشيل كاسيو وفىّ كما أعتقد .

عطيل : وكذلك أعتقده .

ياجو : كان يجب أن يكون الناسُ كما تنبئ عنهم ظواهرهم . بل ليت الذى خلقهم لم يجعل للمنافقين أشباهاً .

عطيل : يقين أن الرجال يجبُ أن يكونوا كما تنبئ عنهم ظواهرهم .

ياجو : ولهذا أظن أن كاسيو صادقُ الولاء .

عطيل : لا. عندك ههنا أكثر مما تبوح بهِ. فرجائى أن تظهر لى خواطركَ كما تُجيلُها فى خفائك وأن تُلبِسَ القبيحةَ منها أقبحَ الألفاظ .

ياجو : عفوك يا سيدى الكريم أنا مكلف كل عمل قويم تقتضيه الطاعة ولكننى غيرُ مكلف ما أُعفى منهُ الأرقَّاء. أإظهاراً لضمائرى وقد يكون منها ما هو دنىء ومنها ما هو زور ... أىُّ قصد لا تدخله بعض المكاره فى بعض الآونة وهل فى الناس من طَهُرَ قلبه حتى لا تداخِلَهُ الريبُ المستهجنة وتعقِدَ فيهِ أحياناً محاكمَها القانونية بجانب الأفكار النقية

عطيل : ياجو إذا ظننتَ أن صديقك مهان ولم تطلعهُ على ما فى طويتك فأنتَ من المتآمرين عليهِ.

ياجو : قد يكون ظنى إثماً وأقرّ بين يديك أن من طبيعتى الرديئة إساءةَ الظن واختلاقَ خطايا قد لا تكون.. فأتضرع إليك أن تصون حكمتك عن الأخذ بمزاعم

رجل كثيرِ الخطل فى تصوره وأن لا تَبْنىَ صرحاً من الأوهامِ المزعجة على أساس غير متين من ملاحظاته الناقصة فلا فائدة لك من جهة اطمئنانك وصفائك ولالى من حيث شرفى الرَّجُلى ونزاهتى وعقلى أن تَطلعَ على خفايا فكرى .

عطيل : ما مرادك من هذا ؟

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة يا سيدى العزيز أثمن جوهرةٍ من حلى النفس . من يسرقْ كيس نقودى يسرقْ شيئاً زريًّا كان لى وأصبح له وكان قبلنا لألوف آخرين أما الذى يسرقُ حسنَ سمعتى فمختلس شيئاً لا يغنيه ويجعلنى فقيراً جَهْدَ الفقر .

عطيل : وأيم السماء لأعرِفنَّ أفكارك .

ياجو : لن تعرفها ولو كان قلبى فى يدك فهل تصل إليها وذلك القلب فى حراستى ؟

عطيل : آهاً .

ياجو : أى مولاى احذر الغيرة . تلك الخليقة الشوهاء ذات

العيون الخضراء التى تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس . الرجل الذى يُثلمُ عرضه فيعرفُ مصابه ويكرَه جالبه عليه سعيد سعيد بجانب ذلك الذى يقضى الدقائقَ الجهنمية شَغِفاً ، إلا أنه مستريب . عاشِقاً أشدَّ العشق، ولكن تساوره الشكوك .

عطيل : يا للشقاء .

ياجو : الفقر مع القناعة غنًى بلا جاه عريض . أما النعمُ التى لا تحصى فتكون فقرًا عقيماً عُقْمَ الشتاء البارد للذى يخشى أبدًا أن يصبح معسرًا . اللهم يا ذا الراحم أَعْفِ من الغَيْرَةِ نفوس أمثالى .

عطيل : لمَ لمَ كل هذا ؟ أتظن أننى سأعيش هذه العيشة مغيّرًا ظنونى كلما تغيّرَ هلال . كلا . متى نَفَذَ الريب ثبتت النفس على حالة معه . تبدّلْ منى بقيس فظيع يوم أدَعُ نفسى بين أيدِى الشبه التى تحدِثُهَا كلُّ دسيسة . أنا لا تستفزُّ غيْرَتى بأن يقَال لى إن امرأتى جميلة وإنها لطيفة المحاضرة وإنها تحبُّ المعاشرة وإنها

طليقةُ النفس فى أحاديثها وتغنى وتلعب وتحسنُ الرقص . كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة . ثم إننى من جهة أخرى لا أخشى أدنى خَشْيَةٍ منها ولا يخالجنى أيسرُ ظنٍّ سيئ بها من جهة أننى فاقد المحاسن لأنها إنما اختارتنى ولها عينان مبصرتان نظرتنى بهما . لا لا . . وما أنا بمرتاب حتى أرى فإذا ارتبت فحتمٌ أن أتثبت مما يداخلنى من الظنون وَإذا وَضَحَ لى البرهان بعد ذلك فيومئذٍ فِراقًا خالدًا إما للحب وإما للغيرة .

ياجو : يسرّنى عزمك هذا بأنه يمكننى الآن من توكيد حبى لك وتجلّتى . وعليه يقتضينى الواجب أن أقدم إليك نصيحة — وبعدها يجىء وقت البرهان — راقب جيداً ما يكون من امرأتك ومن كاسيو . . استعمل عينيك من غير إساءة ظن ، إذ لا أحب أن تنخدع فِطرَتُكَ الشريفةُ الحرّة بسماحتها . أنا عليم بطبائع بلادى والنساء فى البندقية يظهرنَ من

أحوالهنَّ على مَشْهدٍ من الملأ ما لا يجرؤنَ أن يظهرنه لبعولتهنَّ فالذمة عندهنَّ لا أن يمتنعنَ عما يشتهينَ ولكن أن يخفينه .

عطيل : أجدٌّ ما تقول ؟

ياجو : غشّت أباها بتزوجها منك ولم تكن أشدَّ هياماً بك منها حين كانت ترتجف مهابةً من نظراتك .

عطيل : هو حقيقةً ما بدا لى منها .

ياجو : فعليك والحالة هذه أن تستتبع القياس العقلى : إن التى استطاعت وهى فى أنضرِ الصبى أن تخفى ما بها عن أبيها إخفاءً تركت معه عينيه أَشَدَّ إِقْفَالاً من لُبَابِ السِّنْدِيانة . . . التى غافلته حتى اتهم بها السحر . . . صفحاً يا سيدى . . . إنى لملوم وإياك أستغفر عن فَرْطِ هذا الخلوصِ فى ولائى لك .

عطيل : لن أنسى لك هذه المنةَ مدى الدهر .

ياجو : ألمح أن كلماتى قد شغلت من بالك .

عطيل : البتـة .

ياجو : بل أجد أنها نالت منك وأحزنتك بغير ما قصدته منها وإنما أنطقنى بها الولاء، لكن أراك وَاجماً[1] فيتعيّن علىّ أن ألتمس منك أمراً وهو أن لا تُعْطِىَ تلك الكلمات معنىً أبعد ونتيجة أوسع مما يعطاه مجردُ الريب .

عطيل : سأفعل .

ياجو : إذا تماديتُ فى التأويل يا سيدى أصابت أقوالى من المرمى ما لا أحبه . إن كاسيو لصديق . أى مولاى أراك مضطرباً .

عطيل : بعضَ الشىء . أعتقد أن ديدمونه عفيفة على كل حال.

ياجو : أطال الله بقاءها وهى كما تعتقد وأطال بقاءك على هذا الظن الحسن بها .

عطيل : غير أن الطبيعة قد تضل السبيل .

ياجو : وهذا هو محور المسألة وبناءً عليهِ أزداد جرأة معك فأقول إن فى امرأة تأبى من يعرض عليها من الخطاب

---

(١) شديد الحزن مع سكون .

المتعددين الذين هم من بلادها ولونها ومقامها مع أن الطبع يدفعها إلى إيثار أمثالهم ، لدليلاً على نفس فاسدة وميولٍ غير متناسبة وأفكارٍ مخالفةٍ للفطرة . لكن سامحنى فما أذكر هذا لأخصها بهِ غير أننى أخشى أن تراجعها نَفْسُهَا مراجَعَةً يتلخص فيها رأيها من أَسْبَابِ الهُيام فتقابلَ بينك وبين أبناء موطنها فتندم .

عطيل : انصرف بسلام وإذا رأيتَ شيئاً بعد فزدنى علماً ولترقب امرأتك ما يكون . إليك عنى[1] الآن .

ياجو : مولاى أستأذن (يتظاهر بالانصراف)

عطيل : ما الذى حملنى على الزواج ، هذا الإنسان الوفىّ يرى ويعلم بلا مراء أكثر مما يبدى .

ياجو (متراجعاً) : مولاى أود لو أنَّ ذاتك المبجلة لا تتعمق فى تنقيب هذه المسألة بل تدع ذلك للوقت . إذ أن الوقتَ يظهرُ المخبآتِ بأدقِّ مهارة . ومع ذلك إذا

---

(١) ابتعد عنى .

بدا لك أن تُبْقِيَ الرجلَ مَقْصِيًّا إلى حين ، تسنى أن تستبطِنَ سرائره وتعرفَ وسائله . ثم انظر ما إذا كانت امرأتك تلح لإرجاعه بشدةٍ وإلحافٍ وحماسة . ففى هذه الأحوال ما فيها من الأدلة . ومهما يكن مما أسلفتهُ فاجعل أساسَ الرأى أنى أفرطت فى الحرص عليك إفراطًا هو من معايبى هذا مع التضرع إلى ذاتك المبجلة بأن تعتدها بريئة .

عطيل : ثق أننى سأمتلك نفسى .

ياجو : أستأذن مرة ثانية . (ينصرف)

عطيل : هذا الفتى وفىّ فى النهاية ويستكشف بفكر نير جميعَ الطوايا البشرية . لو كانت تلك المرأة بَازِيًا[1] عالِقةً بهِ أليافُ قلبى لأطلقته وتركته تحتَ العواصف يبحث عن صيد يتصيده . لعلها مالت إلى غيرى لأننى أسود وليس فى كلامى من الرِّقَّة والتزويق ما فى كلام أولئك المتحذلقين المختلفين إلى القصور

(١) الطائر الصياد .

أو لأننى فى أول مَهْبِطِ السنين على كون هذا التقدم فى السن لا يظهره شىء منى . لقد انفصلت عنى وخدعتنى ولم تبقَ لى تعزية إلا أن أبغضهاَ — أواه من خيبة الزواج — أتتوهم أننا مالكون لهذه الخلائق الضعيفة حيث لا سلطان لنا إلَّا على شهواتها ؟ لأوثر أن أكون صرصاراً يعيش من أبخرة السجن على ترك جزء من الشىء الذى أحبه لمتاع الآخرين . ولكن من ههنا تنبعث اللعنة التى يعيش فيها الكبراء فهم أسوأ حظًّا من السوقة ، كأن الإصابةَ بالعرض قد حُتِمَتْ عليهم تحتيم الموت . ويلاه من ذلك الخطْبِ الناطِحِ بقرنيه الذى يُقَدَّرُ علينا منذ الميلاد . هذه ديدمونه آتية . لئن كانت غادرة لقد آمنت أن السماء تسخر من نفسهاَ . لا . لا أعتقد فيها الغدر .

(تعود ديدمونه و إميليا)

ديدمونه : بحياتك ماذا يجرى أيها العزيز ؟ إن ضيوفك من أعيان الجزيرة لمنتظروك والغذاء مهيأ .

عطيل : علىَّ الملام .

ديدمونه : ما بالك تتكلم بهذا الصوت الضعيف . أتشعر بألم ؟

عطيل : عندى ألم فى الجبين هنا .

ديدمونه : هَذَا من فرْط السهر ولكن سيزول حالاً . . دعنى أَعْصِبْ رأسك بشدة وبعد ساعة تكون معافى .

عطيل : إن منديلك لأصغر من أن يعصبنى (ينزع المنديل عن رأسه فيسقط إلى الأرض ولا تتنبه له ديدمونه) خلى عنك هذا . تقدمى وأنا متبع .

ديدمونه : بى حزن من ألمك (يخرج عطيل وديدمونه) .

إميليا : إنى فرحة بِوجْدَانِ هذا المنديل . هو أول تذكارٍ أهداه المغربى إليها وزوجى الغريب الأطوار قد لاطفنى كثيراً وسألنى أن أسرقه له . غير أنها تحب هذه الهدية حبًّا جمًّا . لأن عطيلاً أوصاها ملحًّا بالاحتفاظ بها أبداً ولهذا هى تحملها بلا انقطاع وتقبّلها وتخاطبها . سأستصنع مِنْدِيلاً على هذا المثال فأعطيهِ ياجو ليعمل به ما يشاء مما يعلمهُ الله ولست أعلمه

وغاية مرامى إنما هى إجابة سؤله .

(يعود ياجو)

ياجو : ماذا وقوفك هنا منفردة ؟

إميليا : لا تعنفنى . عندى لك شىء ما .

ياجو : شىء لى . إنه لشىء شائع .

إميليا : أواه

ياجو : شائع أن تكون للرجل امرأة حمقاء

إميليا : أهذا كلُّ ماعندك؟ ماذا تعطينى بدلاً من هذا المِنديل؟

ياجو : أىُّ منديل ؟

إميليا : أى منديل ! ! ذلك الذى كان أولَ هدية من المغربى لديدمونه والذى طالما سألتنى أن أختلسه .

ياجو : أسرقتِهِ ؟

إميليا : لا وإنما سقط منها سهواً بحضورى فالتقطتهُ وها هو ذا . انظر .

ياجو : نِعْمَ البُنَيَّةُ أنتِ ؛ أعطينى إياه .

إميليا : ماتنوى فعلَه به وقد ألححتَ علىَّ ذلك الإلحاح باختلاسه

ياجو (مختطفاً منها المنديل) : أَيَعْنِيكِ هذا ؟

إميليا : إذا لم يكن منهُ مقصد ذو بال فأعده إلىَّ فإن تلك السيدة المسكينة سيصيبها مَسٌّ إذا فقدته فلم تجده .

ياجو : احذرى أن يُظنّ بكِ وأنا فى حاجة إليه . اذهبى ودعينى (تخرج إميليا) سأطرح هذا المِنديل فى مَسْكِنِ كاسيو بحيث يجده . أمثال هذا الشىء التافه أفعلُ فى الغيور من تحقيقات الكتب المقدسة وربما جرَّ هذا المنديل أمراً . المغربى آخذ بالتغير من تأثير سمى على أن العقاقير الخطرة هى بطيئتها سِمَامٌ أولُ طعمِها غيرُ كريه ولكن متى ابتدأ فعلها فى الدم أحرقت إحراقَ مَنَاجِمِ الكبريت...ها هوذا قادم ، لا الخشخاش ولا غيرُه من المرقداتِ القوية يعيد إليك بعد الآن المنامَ الهادئ الذى كنتَ تنامُه أمس.

(يعود عطيل)

عطيل : أها أها ، أجدها تواريني .

ياجو : حسبك يا سيدى لا تفكر فى هذا بعد .

عطيل : وراء . إليك عنى . لقد مددتنى على خُشُب التعذيب .
أقسمتُ إنه خيرٌ للإنسان أن يُخدَع كثيراً من أن
يعلم بخديعته قليلاً .

ياجو : ما بكَ يا مولاى ؟

عطيل : أىُّ إحساسٍ كان يخامرنى فى تلك الساعات الغرامية
التى خالستُ بها النعيم . لم أَكن لأظُنَّ هذه الظِّنَّةَ
ولا لأُخْطِرَها على بالى وكنت لا أتألم . فى الليلة
المنصرمة نمتُ مستقرًّا وبى فرح وسكينة فكر ولم
أستكشف على شفتيها قُبَل كاسيو لا ينبغى إبلاغُ
الذى سرق له شىء أنهُ سرق فإذا لم يفتقده فكأنه لم
يختلس منهُ شىء ألبتة .

ياجو : يحزننى ما أسمعهُ .

عطيل : لكان يسرنى أن يتمتع الجنودُ كلُّهم ومعهم أعوانُهُم
الصبيان بجسمها الرقيق على أن لا أعلم . أما الآن
ففِراقاً أبَدِيًّا لراحة النفس . فراقاً للسرور . فِراقاً
للكتائب التى تزدهى خُوَذُها بالريش الناصع .

وللحروب الكبيرة التى تجعل الطمعَ فضيلة . أواه .
فِراقاً للخيل الصاهلة وللبوق العزّاف وللطبل الذِى
يَشُبُّ حرارةَ النفس وللمزمار الذى يَصْفِرُ فى الأذن
وللرايات الملكية ولسائر الأشياء التى تَنْجُمُ عنها
الكبرياء والعظمةُ والمفاخرُ الحربية
وأنتِ أيتها الآلات المهلكة التى تحاكى بالإرعادات
الخارجة من أفواهها الهدَّادة صَيْحَاتِ النشور وداعاً
وداعاً إن حياة عطيل قد انتهت .

ياجو : أهذا ممكن يا مولاى ؟

عطيل : أيها النمامُ الواشى جئنى بما يُثْبِتُ أنَّ حبيبتى مومس..
لا تبطئ. أرِنى بعينى وإلا (يقبض على عنقه) حَلَفت
بقيمة النفس الخالدة ليكونَنَّ خيراً لك أن تكون
مخلوقاً كلباً من أن تَلْقَى هَبَّة رجزى

ياجو : أَوَصلت الأمور إلى هذا الحد ؟

عطيل : أرنى بعينى أو أيّد لى برهانَكَ بحيث لا يفوتك ذكرُ
جزئية أو حالةٍ مما يعلقُ بهِ الريب وإلا فتبًّا لحياتك .

ياجو : أى مولاى الشريف .

عطيل : إن كنت قد فعلت لتسىء ظنى بها وتعذبنى فلا تُصلِّ بعد الآن بتاتاً . أُخرج عن إنسانيتك بالمرة . راكم فظائعَ فوق فظائع . ارتكب جرائم تبكى منها السماء وتقضى لها الأرض عجباً لأنك لا تستزيد فى يوم الله شيئاً على ما ستناله من العقاب الذى يفوق كل هذا .

ياجو : يا لرحمة الله . يا للسماء سامحينى . هل أنت رجل — هل لك نفسٌ أو إحساس . أعانك الله . أقلنى من خدمتى . ويحى من حقير أبله جعل وفاءه ذنباً له . ويل لهذه الدنيا الخؤون . اعلمى اعلمى يا دنيا ما أخيبَ الأمانة ، وما أغدرَ الاستقامة — حمداً لك على هذه العظة وأبى الله بعدها أن أحب حبيباً ما دام الولاء جلّاباً لمثل هذه المهانات .

عطيل : لا ، أقم ، كان يجب أن تكون وفيًّا .

ياجو : كان يجب أن أكونَ حكيماً لأن الأمانة حمقاء ومَضْيَعةٌ للمثوبات .

عطيل : والعالمين إنى لأعتقد طهارة امرأتى ثم لأعتقد أنها غير طاهرة . بل أظنُّ أنك صادق ثم أظنُّ أنك غير صادق ، لا بدَّ لى من برهان ، إن اسمها كان أنصعَ من وجه ديانا فأصبحَ الآن أقتمَ أسودَ كوجهى — لئن كان فى الدنيا حبال . خناجر . سموم . نار . أنهار تُغرّق فلستُ بمحتمل هذا . ما أظمأنى إلى ترضية لنفسى .

ياجو : أجد يا سيدى أن الغرام يَغُولُكَ وأندم على ما ألحقته بك من الأذى أفتريد البرهان ؟

عطيل : أأريد ؟! نعم أريد .

ياجو : ذلك إليك . ولكن كيف تريد أن أجيئك بهذه الترضية يا سيدى . أتبتغى منى شاهداً يقف جامداً مفتوحَ الفَم يتفرّسُ فيها وهى مع الرجل .

عطيل : موت وهلاك . أواه .

ياجو : يصعُبُ علينا فيما أظن أن نحتال عليهما بحيث يؤخذان على هذا الشكل بل من المستحيل أن يراهما على فراشٍ

واحد غيرُ الشيطان . وعلى هذا ... فما تكون الترضية حيث لا يحتمل أن يظهرا الأحد بهذا المظهر ولو كانا أَفْسقَ من تيسين وأَحمَى من قِردين وأشدَّ قِحَةً فى البهيمية من ذئبين وأَقلَّ احتراساً وَحِذَاراً من غبيّين مخمورين . أما إذا كان الاستنتاج من وقائعَ واضِحَةِ الدلالة موصلةٍ إلى أبواب الحقيقة كافياً لما تشاء من الترضية فالترضية بين يديك .

عطيل : أَعطنى برهاناً حسيًّا أنها زانية .

ياجو : قُبِّحَتْ من خدمة . ولكن بما أننى جريت هذا الشوط البعيد فى المكاشفة مندفعاً بدافع الجنون الذى ابتلتنى بهِ الصداقة والنزاهة فإننى لأزيدك بياناً . كنت بائتاً منذ ليال مع كاسيو وبى ألم فى الأسنان أَرَّقَنِى لشدته فلما انقضى الهزيع الأول تبينتُ أن كاسيو يرى حُلماً . ومن الناس أفراد خلقت نفوسهم على غير الكتمان فيذكرون شؤونهم فى منامهم . . . ومنهم صاحبى . سمعتهُ يقول وهو مستغرِقٌ فى رؤياه :

« يا حبيبتى الجميلة ديدمونه لنكن حَذِرَيْن ولْنُخْفِ غرامناَ » . . وحينئذٍ ياسيدى أمسك بيدى يَشُدُّهاَ ويصيح : « يا لك من حسناءَ شهية » ثم طفِقَ يلثُمُنى بقوة كأنه كان يود أن يقتلع القُبَل النابتةَ على شفتيها من أصولها ثم ألقَى بساقه على فخذى وتنهد واعتنقنى ثم صاح : « لعن الله الحظ الذى وهبك للمغربى » .

عطيل : فظيع فظيع . .

ياجو : لم يكن إلَّا حُلمًا . .

عطيل : بلى ولكنهُ جاءَ دليلاً على شىء تم سابقًا ، وإنه لدليل قاطع على كونه منامًا .

ياجو : وبهِ تتعزز البراهين السالفة التى تظهر واهية .

عطيل : سأمزقها تمزيقًا .

ياجو : بلا ريب ولكن كن متئداً إذ أننا لم نر بعد أمراً تم وقد تكون عفيفة . بقى أن تقول لى شيئًا ذا بال . ألم ترَ قط فى يد امرأتك مِنديلاً عليه رسم الشليك .

عطيل : أعطيتها منديلاً بهذا الرسم وهو أول ما أهديتهُ إليهاَ .

ياجو : أول ما أهديتهُ إليها أو آخره لا أعلم . غير أنى رأيت منديلاً من هذا الشكل — وأعتقد أنه لها — بيد كاسيو وكان يمسح بهِ لحيته فى هذا الصباح .

عطيل : إن كان هو منديلى . . .

ياجو : إن كان هو الذى تعنيهِ أو آخر مما تملكهُ ففيهِ ما ينطق بذنبها تعزيزاً لما تقدَّم من البراهين .

عطيل : ويلاه . علامَ لا يكون لذلك الشحَّاذ أربعون ألفاً من الأعمار . إن عمراً واحداً دون الكفاية لانتقامى . الآن تبينت أنها فى الحق زانية . . انظر ياجو ، هذه نفخة أُصَعِّدُ بها إلى السماء ذلك الغرامَ النَّارى ، لقد ذهب . يا أيها الانتقام المدلهم ارتفعْ من أعماقِ جهنم ، ويا أيها الحب تنازل لاستبداد الغضب عن تاجك وعرش قلبى ، ويا أيها الصدر ارْزَحْ تحتَ حملك فإنما حِمْلُكَ من ألسنة الأفاعى .

ياجو : لا بد لك من التمالك .

عطيل : دمًا دمًا دمًا .

ياجو : تحمل ، تجلد ، وربما تغير شعورك .

عطيل : لن يتغير . . . أعرفت كيف تجرى التيارات القارسة الجامحة من مبعثها فى بحر البُنط[1] إلى مستقرها فى بحر الظلمات لا يردها الجزر بل تنطلق إلى غايتها فى منهاج قويم كذلك عزائمى النَّضَّاحةُ بالدماء قد اندفعت إلى الأمام بقوة ولن ترجع إلى الوراء ، لن تعود إلى حِمَى ذلك الغرام الوديع ، بل تستمر فى سيرها حتى تغور جميعُها فى انتقام عظيم على قدر الإهانة . الآن وجب علىّ بحق تلك السماء المرمرية التى أراها هناك أن أُثْبِتَ وعيدى بحيث أجعلُ تحقيقَه خروجًا من يمين مقدسة . (يجثو)

ياجو : لا تنهض (يجثو أيضاً) اشهدى أيتها الأنوار التى تتأجج فى علٍ سرمداً وأنت أيتها العناصر المحيطة بنا من كل جانب ، اشهدى أن ياجو يستخدم لإنصاف عطيل مما لحق به من العار عَقْلَه وقلْبَه ويَدَه ، ليأمر

(١) خص هذا البحر بالذكر لأن تياراته تندفع ولا تعود .

عطيل ومهما يكن ما يكلفنى إياه عملاً دَمَوِيًّا مُوبِقًا فإننى لفاعله بعقيدة أنه فعلُ وفاء ورحمة .

عطيل : أتلقى هذا العهد الودى منك لا بكلمات شكر فارغة بل بقبولٍ حَسَنٍ من قلبى . وإنى لمختبر قَسَمَكَ حالاً . أخبرنى إلى ثلاثة أيام إن كان كاسيو قتل .

ياجو : لقد هَلَك صاحبى وهو أمرٌ مقضىٌّ بناءً على إشارتك ولكن لتعش هى .

عطيل : لتفترسْها النار ، تلك البغى الخبيثة . لتفترسْها النار . تعال معى إلى مكان ننفرد فيه لأبحث عن ميتة سريعة لتلك الجنّية الجميلة . كن ملازمى منذ الساعة .

المشهد الرابع

تجاه القصر

(تدخل ديدمونه وإميليا والمضحك)

ديدمونه : أتعلم يا هُزأَة أين مَسْكن كاسيو ؟

المضحك : لا أجسر أن أقول إن له مسكنًا .

ديدمونه : لِمَ أيها الصاحب ؟

المضحك : لأنه عسكرى ومن قال لعسكرى إن له مَسْكِنًا تعرّض لخنجره .

ديدمونه : غريب ! وأين يقيم ؟

المضحك : لو أخبرتك أين يقيم لأخبرتك أين أكذب .

ديدمونه : أيمكن تصيُّد معنًى من هذه الكلمات ؟

المضحك : لا أعلم أين يقطُن فإذا اخترعت له مَسْكِنًا عددت ذلك افتراءً خارجًا من حلقى .

ديدمونه : أتستطيع السؤال عنه ومعرفَته ؟

المضحك : سأذهب بشيراً ونذيراً فى شأنه بمعنى أننى سألقى أسئلة على الناس ثم أجيبك بما يقولون .

ديدمونه : ابحث عنه ، مره أن يحضر ، قل له إننى شفعت فيه لدى مولاى وأرجو أن تقضى حاجته .

المضحك : فعلُ هذا مما قد يسعهُ عقل الإنسان ولهذا سأحاوله .

(يخرج)

ديدمونه : أين تظنين أننى فقدت ذلك المنديل يا إميليا .

إميليا : لا أدرى يا سيدتى .

ديدمونه : كان أهونَ علىَّ أن أفقد كيس نقودى ملآن قطعاً ذهبية من فقده لأنه لو لم يكن سيدى الشريف عادلَ الضمير خليًّا من دناءات الغيرة لكان ذلك مما يثير عنده الظنون السيئة .

إميليا : أليس غيوراً ؟

ديدمونه : من . . ؟ هو . . ! أظن الشَّمس التى ولد تحتها أجفّت عنده أمثال هذهِ الوبالات .

إميليا : انظرى . هاهو ذا مقبل .

ديدمونه : سأعيد الكرة عليه الآن ولست تاركتَه حتى يصفح عن كاسيو .

(يدخل عطيل)

ديدمونه : كيف حالك يا سيدى ؟

عطيل : على المرام يا سيدتى الكريمة . ما أصعبَ المراءاة . وكيف أنت يا ديدمونه ؟

ديدمونه : كما تحب يا سيدى .

عطيل : هاتى يدك . هذه اليد نضيرة يا سيدتى

ديدمونه : لم تشعر بعدُ بالسنينَ ولا بالحزن .

عطيل : تدل على قلبٍ غنى وَسَمْح . يدك دافئة . دافئة ونضيرة . ما أحوجَهَا إلى الحجب فى دير والصيام والصلاة وضروبٍ كثيرة من أعمال التوبة والتقى ذلك لأن هناك شَيطانًا فَتيًّا سريعَ العَرَق قريبَ الثوران . إنها ليدٌ طيبة وحرة .

ديدمونه : يحق لك تقريظُها لأنها هى التى أعطتك قلبى .

عطيل : أَكْرِمْ بها من يد . قبلًا كانت القلوبُ تعطى الأيدى أما الاصطلاح الحادث الآن فأن تعطىَ الأيدى القلوب .

ديدمونه : لا كلامَ عندى فى هذا المعنى فلأسلك عما أنت فاعل بوعدك .

عطيل : أىُّ وعد يا دَجَاجتى ؟

ديدمونه : أرسلت أستدعى كاسيو للقائك .

عطيل : بى زُكامٌ عنيف ثقيل يزعجنى . أعيرينى منديلك .

ديدمونه : هاهو ذا يا سيدى .

عطيل : أريد الذى أهديتهُ إليك .

ديدمونه : ليس معى .

عطيل : لا . .

ديدمونه : لا يا سيدى .

عطيل : هذه غلطة : إن ذلك المنديل وهبتهُ امرأة مصرية لأمى وكانت تلك المصرية ساحرة تكاد تعرفُ ضمائر الناس . قالت لأمى وهى تدفعهُ إليها : إنه يجعلها محبوبة ، ويُخْضِعُ لها غرامَ أبى ما دامت محتفظةً به. فإذا فقدته أو أهدته فعين أبى تنصرف عنها انصرافَ بغضاء، ونفسه تتحول إلى البحث عن سواها. ولما حضرت أمى الوفاة أعطتنيهِ وأوصتنى إن تزوجت أن أمنحهُ لحليلتى وهكذا فعلت . فأرغب إليكِ فى استبقائه وصيانته وأن تحبيه كحدقة العين الثمينة لأنه إذا فقد كان فقدُه خسارةً لا تُسْتَعاض .

ديدمونه : أيعقل هذا ؟

عطيل : بل هو الحقيقة لأن فى نسيجه سِحْراً وما نسجته إلَّا عرافةٌ شهِدَتْ دورانَ الشمس مئتى مرة آما الديدان التى أخرجت حريره فقد كانت مَرْقِيَّة أيضاً وأما الحرير فقد صبغ بعصيرِ المومِيَاتِ مُسْتَقْطراً من قلوب العذارى ومَصُوناً بعناية العلماء .

ديدمونه : أهذا صحيح ؟

عطيل : غاية فى الصحة وعليهِ أوصيكِ بالحرص كُلّ الحرص على ذلك المنديل .

ديدمونه : إن كان ما ذكرت فليتنى لم أره قط .

عطيل : لماذا ؟

ديدمونه : ما بالك تتكلم هكذا بِعَجَلَةٍ وَوَجِيف[1] .

عطيل : أفقد ؟ أأضعتهِ ؟

ديدمونه : رعانا الله .

عطيل : ما ردّك ؟ !

ديدمونه : لم أُضْلِله ولكن لو حدث ذلك .

---

(١) ارتجاف مع انقباض

عطيل : كيف تقولين ؟ !

ديدمونه : أقول لم يضع .

عطيل : جيئيني به الآن فأراه .

ديدمونه : سأفعل ياسيدى ولكن بعد الآن . إنما هى حيلة ابتدعتها لعدم إجابة التماسى . أكرر توسلى إليك ياسيدى أن تغفر لكاسيو .

عطيل : اذهبي وأحضرى لى المنديل — تاه فكرى .

ديدمونه : دع عنك هذا إنك لن تجد رجلاً أكفأ منه .

عطيل : المنديل . .

ديدمونه : رجل وقف سعده من أول عمره على صداقته لك وشاطرك الأخطار . .

عطيل : المنديل . .

ديدمونه : حقيقة إنك لتلام .

عطيل : إلى الوراء (يخرج)

إميليا : أليس هذا الرجل غيوراً ؟

ديدمونه : لم أرَ فيه قبل الآن شيئاً من مثل هذا . لا بد أن

يكونَ فى ذلك المنديل سِرّ عجيب وإننى لشقية بأننى فقدته .

إميليا : جَرَت العادة أن يكونَ الرجالُ بعد سنة أو سنتين من الزواج كما هو الآن . إن هم جميعاً إلَّا مِعَد وإن نحن جميعاً إلَّا غذاء يأكلوننا بنهم فإذا امتلأوا تقايأونا . انظرى هذا كاسيو وزوجى . .

(يدخل كاسيو وياجو)

ياجو : لاوسيلةَ غيرُها وهى وحدها التى يجب أن تنقذك . ما أسعدَ طالِعَك ها هى ذى . اذهب إليها وألحف .

ديدمونه : واهاً يا صديقى كاسيو ما عندك من النبأ عن شأنك ؟

كاسيو : أنا لا أزال على التماسى الأول ياسيدتى، أبتهل إليك أن تشفعى لى بما فطرت عليه من الرحمة لأعيش وأعود إلى صداقة الرجل الذى أجلّه كل الإجلال . ثم بودّى أن أعرف مصيرى معه فى أقرب وقت ، فإذا كانت هفوتى من الهفوات التى لا تغتفرها لى خِدَمِى السابقة وندامتى الحاضرة وإخلاصى الذى

أنويه للمستقبل فليكن آخرُ إحسانٍ منك أن
تشعرينى بذلك فأقبلَ بما قُسِمَ لى على كُره منى
وأختطَّ لنفسى خُطَّةً أخرى تاركاً مآلى بين أيدى
الأقدار . .

ديدمونه : أواه أيها الرجل النبيل كلَّ النبل إن توسلاتى لم تجدِ
إلى الآن وقد تنكَّر علىَّ مولاى منذ هنيهة حتى كان
غير ما أعهده. ولو تغيَّر وجهه كما تغير خُلُقهُ لما عرفته —
ليت الأرواحَ العلوية مسعداتى بقدر ما شفعت لك
عنده فلقد أصررت وكررت حتى انتهيت إلى شَفَا
كدرِه . فلا بدَّ لك من التجلد وسأفعل لأجلك
أكثرَ مما أجسر على فعله لأجل نفسى فليكفك هذا.

ياجو : أمولاى غضبان ؟

ديدمونه : قد خرج الآن من هنا وهو بلا ريب فى اضطراب
غريب .

ياجو : لم أعهده يغضب . . رأيته وَالمِدْفَعُ يطيرُ بكتائبه
مبعثرةً فى الهواء يَهْجُمُ هجْمة الشيطان وينقذ أخاه

بيده . . ثم هو الآن يغضب . لا بدَّ من أمرٍ ذى بال سأذهب للقائه . إنه إذا حَنِقَ فلسبب خطير .

ديدمونه : افعل بتوسل منى (يخرج ياجو) لا بدَّ أن يكون هناك معضلةٌ من معضلات الحكومة أو أمرٌ وفد من البندقية أو مؤامرةٌ علم بتدبيرِها فى قبرس قد غشَّتْ عليهِ صفاءَ فكره . وفى أمثال هذه الأحوال تضطر النفوسُ الكبيرةُ الغايات أَن تشتغل بالهَنَاتِ الصغائر . مَثَلُها بذلك كمثل الذى توئلِمُهُ إصبَعُهُ فيجدُ شعورَ الألم فى سائر جوارحه السليمة . على أن الرجال ليسوا بآلهة وما علينا أَن نكلفهم على الدوام مجاملتنا كما يفعلون أَيام العرس — عنفينى بشدة يا إميليا لأننى كنت شارعةً فى التظلّم من قسوته لدى محكمة ضميرى أَما الآن فأرى أَننى رَشَوْتُ الشاهِدَ وأَننى أَلقيت التهمة بغير صواب .

إميليا : لنضرعْ إلى الله أَن يكون ما بهِ أَمراً من أُمور الحكومة كما فكرت لا جِنَّةً من جِنَّاتِ الغيرة .

ديدمونه : ويحى لم أفعل قط ما يَسْتفزّ غيرته .

إميليا : غير أن النفوسَ الغيورة لا تهتم بالبراءة ولا تجيئها فى الغالب نَوْباتُها عن سبب بل تغار لأنها تغار وما الغيْرَةُ إلاّ بهيمةٌ شاذّة تلقح من نفسِها وتتولد من نفسها .

ديدمونه : وقى الله قلب عطيل من تلك البهيمة .

إميليا : آمين يا سيدتى .

ديدمونه : سأذهب لأستقدمه . كاسيو تنزه قليلاً بقرب هذا المكان فإذا وجدتُهُ فى ساعةِ رضى دافعتُ عنك وبذلت مجهودى فى كسب دعواك .

كاسيو : أشكر مرحمتك بكل خضوع (تخرج ديدمونه و إميليا)

(تدخل بينكا)

بينكا : حياك الله ورعاك يا كاسيو .

كاسيو : ما تصنعين خارج البيت . كيف حالك يا عزيزتى الجميلة جدًّا ؟ تالله لقد كنت على عزم التوجه إليك ..

بينكا : أنا كنت ذاهبةً إلى منزلك . أيمضى أسبوع ولا

تزور . سبعة أيام وسبع ليال ، مئة وثمان وستون ساعة ، على حينَ أَنَّ ساعاتِ هجرِ العشيق أشدُّ تبريحاً من ساعات التوقيتِ بمائة وستين مرة . يا لله ما أقبحَها سأماً وضجراً .

كاسيو : سامحيني يا بينكا نكبت بما أقصاني عنك فى هذه الأيام كلها . . ولكنني سأعيضُ مافات بما هو آت . أى عزيزتى الكريمة بينكا . انسخى لى مثالاً من هذا المنديل .

بينكا : من أين جاءك هذا يا كاسيو ؟ لا بد أنه هدية من صديقة جديدة . . لقد فهمت سبب ذلك الجفاء سنرى سنرى .

كاسيو : تَخْلِطِينَ يا امرأة . أَلقِ بظنونك البشعة فى وجه الشيطان الذى أوحاها إليكِ . أَتَغيرينَ من تخمينك أن لى رفيقة جديدة . كذبك وهمُكِ وعهدِ الوفاء .

بينكا : إذن من أين جاء هذا ؟

كاسيو : لا أعلم ، وجدته فى غرفتى وأحببت صنعه كثيراً ،

لذلك سألتك صنع غيره على مثاله قبل أن يطلبه أربابه ، أرجو منكِ وأتوسل إليكِ أن تنقلى لى هذا المثال . والآن دعينى .

بينكا : لماذا أدعك ؟

كاسيو : أترقبُ القائد هنا وليس من مصلحتى ولا من أمنيتى أن يَرانى مع امرأة .

بينكا : ولم هذا التحاشى ؟

كاسيو : ليس من عدم الحُب .

بينكا : بل من كونك لا تحب «إياى» تكرم علىّ واصحبنى قليلاً وأجبنى : أتزورنى الليلة أم لا ؟

كاسيو : لا أستطيع مرافقتكِ إلاّ بعضَ الخطى إذ لامحيص لى من انتظار القائد هنا لكن سأراك قريبا .

بينكا : لا بأس إنى أدع التشديد الآن مراعاةً للحالة (يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

قبرس — أمام القصر

(يدخل عطيل وياجو)

ياجو : أيداخلك مثلُ هذا الظن ؟

عطيل : مثل هذا الظن ؟

ياجو : لأجل قبلةٍ اختُلِسَتْ على انفراد .

عطيل : قبلة غير جائزة . . .

ياجو : أولأجل قضاء ساعة أو أكثر مع المحبوب فى سرير واحد .

عطيل : أَيَعْرَيَانِ ويدخُلان السرير بدون قصدٍ أثيم . ياجو هذه مُدَاجاة[1] للشيطان . إن الذين يَخلُون هذه الخَلْوة لو طهُرت نياتُهم لامتحنهم إبليس وامتحنوا الله.

---

(١) مراءاة

ياجو : إذا لم يفعلوا شيئاً فهى هفوة عرضية أما إذا أعطيت امرأتى منديلًا . . .

عطيل : فما يكون ؟

ياجو : يكون عندئذٍ ملكاً لها ولها فيما أعتقد أن تمنحه لمن تشاء .

عطيل : هى أيضاً أمينة على عرضها أتستطيع أن تهبه ؟

ياجو : عرضها شيء لا يُرى وكثيراً ما يحدث أن الذين لا عرض لهم هم بالذات أصحاب العرض. أما المنديل...

عطيل : بالله العظيم لقد كنت أودّ لو أنساه ... أتم جملتك... لكن ذكره يعود إلى رأسى كما يعود إلى البيت المتداعى غرابُ البين يَنْعَقُ بالويلات . . . كنت تقول إن المنديل وجد معه ؟!

ياجو : فدليل أى شيء هو ؟

عطيل : كيف كانت دلالته فما هى بالشيء النظيف .

ياجو : إذن ما كنت تصنع لو أبلغتك أننى رأيتهُ يَسْلُبُ عرضك أو أننى سمعتهُ يقول كيت وكيت كما يفعل

بعض الشذّاذ الذين إذا قضَوْا لبانتهم من معشوقتهم سواء بإلحافاتهم المزعجة أم بتشخيصاتهم المؤثرة لم يملكوا الكتمان .

عطيل : وما الذى قاله ؟

ياحو : إنه . . . فعل ما لستُ أتذكر . . .

عطيل : أى شىء أى شىء ؟ ؟

ياجو : إنه بات . . .

عطيل : معها ؟

ياجو : معها . . . بقربها . . . كما تشاء !

عطيل : معها . . بقربها . . خطبٌ رائع . المنديل . . الإقرارات . . المنديل . . ليعترف ثم ليشنقْ جزاءً وفاقاً بل ليشنقْ أولاً ثم ليعترف . . أرتجفُ لمجرد تصورى تلك الخيانة . ولولا أنها وقعت وأسرّتها إلىَّ الطبيعة لما بلغ الاضطرابُ منى هذا المبلغ . ليس الذى يَقْلِبُنِى عالياً إلى سافل كلماتٌ فقط . . لعنة الله عليهما . . أنفاهما . . آذانهما . . شفاههُمَا . . أفى

التصوّر ما كان . . ليعترف — المنديل — يا للشيطان

(يغمى عليه)

ياجو : فعلك ياطبى فعلك. الحمقَى المصدِّقون يؤخذون هكذا، وهكذا تقع السِّعَايَةُ على كثيراتٍ من الخواتينِ[1] العفيفَات — صحواً سيدى . . . سيدى . . . صحواً عطيل .

(يدخل كاسيو)

ياجو : كاسيو ؟ !

كاسيو : ما أرى ؟

ياجو : أغمى على مولاى . . أمسِ مرة وهذه الثانية .

كاسيو : أُفرُكْ صُدْغيه .

ياجو : لا . . . قف . . . لاينبغى تحريكُهُ فى الإغماء وإلَّا أزبد فمه وَهَبَّ هَبَّة جنونٍ وحشىّ . . . انظر . يضطرب . . تغيَّبْ قليلًا . سيرجع إلى حسهِ وعندما ينصرف أريد أن أفاوضك فى أمر ذى بال

---

(١) النساء الشريفات .

(يخرج كاسيو) كيف أنت الآن أيها القائد ألم تجرح في رأسك ؟

عطيل : تسخر مني ؟!

ياجو : أنا أسخر منك ؟ لا والسماء .. عساك أن تتحمل قسمتك تحمل الرجال .

عطيل : رجل ذو قرنين لا يكون إلَّا خَلقاً مخطأً أو حيواناً.

ياجو : يوجد إذن في مدينة مأهولةٍ كثيرٌ من الخلائق المخطأة ، وكثيرٌ من البهائم في زي الحضارة .

عطيل : هل أقرّ بما فعل ؟

ياجو : سيدي الكريم كن رجلًا تصور أن كل ذي لحيةٍ مشدود إلى امرأة يستطيع أن يحمل حملك . من الناس في هذه الساعة ألوف ألوف يبيتون ليلهم في مضاجعَ قاسمتهم إياها الجماهير ويزعمون أنها لهم خاصة أما أنت فحظك ما زال أصلحَ من حظوظ هؤلاء ... لكن أجد من جهة أخرى أن من سخريات جهنم ومبالغاتِ الرجيم في الرزايا عناقَكَ

لامرأة فاسقة فى فراش شرعى وتحسبها طاهرة . . .
لا ... خير لك ثم خير لك أن تعرف كل شىء فإننى
متى عرفت ما أنا عرفت أيضاً مصيرى .

عطيل : أنت عاقل بلا مراء .

ياجو : الزم السكينة قليلاً واكتفِ بالإصغاء متجلداً أسمعْكَ برهاناً جديدًا . . جاء كاسيو إذ كان مغمًى عليك من الألم . وهو مالا يليق برجل مثلك فأبعدته معتذراً بعلتك وأوصيته أن يعود لمخاطبتى بعد هنيهة . فالتمس لك هنا مكمَناً تجثم فيه والمحْ إشاراتِ الهُزءِ والاحتقار التى تبدو على وجهه حين أكلمه عنها وسأحتال عليه بحيث يقص علىَّ قصته مع امرأتك ويقول أين . وكيف . ومتى . وكم مرةٍ اجتمع بها أو ينوى أن يجتمع . تنبه وحسبك أن ترقُبَ حركاتِه . يالله . صبراً وإلَّا شهدت أنك الهِزَّةُ مشخصةً برأس وقدمين وأن لا شىء فيك من الرجل .

عطيل : اسمع ياجو سترى أننى جليد كل الجلد ولكننى اعلم أيضاً . سفاح فى الغاية .

ياجو : مهما تقتلْ لا تدرك حق ثأرك غير أنه يحسن عمل كل شىء فى ميقاته أتريد أن تتوارى ؟ (يختبئ عطيل) الآن سأسأل كاسيو عن بينكا العاهرة التى تبيع محاسنها وتشترى خبزاً وملابس . هذه الفاجرة مجنونة بكاسيو لأنهُ من مصائب البغيات أن يخدعْن ألوفاً ويخدعهنَّ واحد — فمتى سمع ذكرها لم يملك أن يضحك حتى يَشْرَق .. أراه قادماً ومتى تبسم أصبح عطيل مجنوناً وأوّلت غيرتُهُ الفاحِشَةَ كلَّ رمزٍ يرمزه من تبسم وإشارة أسوأَ تأويل على المسكين كاسيو .

(يدخل كاسيو)

ياجو : كيف أنت الآن أيها الملازم ؟ !

كاسيو : كما يكون القتيل ، وإننى لقتيل بفقدى اللقب الذى تلقبنى به .

ياجو : أصرر على التماس الشفاعة من ديدمونه وثق بالنجاح
(بصوت خافت) أما لو كانت أمنيتك عالِقةً برداء
بينكا لتحققت سريعاً .

كاسيو : مسكينة تلك الإنسانة .

عطيل (فى مكمنهِ) : انظر كيف طفق يضحك !

ياجو : لم أرَ قط امرأةً تحب رجلاً هذا الحب .

كاسيو : ويحها من خاطئة أظن على ذمتى أنها تحبنى .

عطيل (فى مكمنهِ) : ها هو ذا ينكر الجريمة بتراخٍ لكن يضحك
لذكرها كثيرًا .

ياجو : أسامع يا كاسيو .

عطيل (فى مكمنهِ) : إنه الآن يُحْرِجُهُ ليَحملَه على الإخبار .
أحسنت أحسنت

ياجو : تُشيعُ أنك ستقترن بها . أهذه أمنيتك .

كاسيو : ها ها ها . .

عطيل (فى مكمنهِ) : أفائز أيها الرومانى أفائز ؟

كاسيو . أنا أقترن بها . بمومس . هب عقلى شيئاً من حسن

ظنك ولا يكن رأيُكَ فىَّ هذا الرأىَ العفِن ها ها ها .

عطيل (فى مكمنهِ) : كذا كذا الظافرون يضحكون .

ياجو : بذمتى إن إشاعة زواجكما متناقلة .

كاسيو : بحياتك قل لى الحقيقة .

ياجو : إن لم يكن قولى الحقيقة فلا كنت إلا محضَ مجرم مزوّر .

عطيل (فى مكمنهِ) : طُبِعَتِ السِّمَةُ على جبهتى لا بأس .

كاسيو : إن هى إلا إشاعة صادرة عن تلك الوقحة تظن أننى أتأهل بها عن زهو وخُيَلاء منها لا عن وعد منى .

عطيل (فى مكمنهِ) : ياجو يشير إلىَّ . . سيبدأ القصة .

كاسيو : كانت هنا من هنيهة ودأبها أن تدركنى فى كل مكان . ومن جنونها أنها لحقت بى إلى شاطئ البحر منذ أيام وكنت أحادث بعض البندقيين فجاءت وطوقت عنقى هكذا . . .

عطيل (فى مكمنهِ) : وهى تصيح : « يا حبيبى كاسيو » . أكاد أسمع ما يقوله لفصاحة إشارته .

كاسيو : علقت بعنقى وأخذت تترجح وتبكى وتدفعنى وتجذبنى . ها ها ها .

عطيل (فى مكمنهِ) : يخبره كيف أدخلته غرفتها آه إنى أرى أنفك .. لا بل أرى الكلبَ الذى سألقيه إليه .

كاسيو : لا بد لى من مقاطعتها .

ياجو : ليس بحضورى .. التفت تجدها مقبلة .

كاسيو : هذه مفتونتى يسطعُ عطرها إلى هذا المكان .

(تدخل بينكا)

كاسيو : ما مرادك من مطاردتى هكذا ؟

بينكا : طاردكَ الشيطان وأنثاه ما كان مقصدك من هذا المنديل الذى دفعتهُ إلىّ منذ قليل . غلبت علىّ الغفلة فصدقت أنك تستنسخ رسمه . أمن المعقول أن تجد مثل هذا الشىء الثمين فى غرفتك من غير أن يكون أحدٌ قد تركه ، هذا بلا شك هدية من عاهرة ما ، وأنا أُكلّف تصوير مثله . أبى الله أن أفعل . خذه وَأَهْدِهِ إلى عشيقتك . أيًّا يكن مأتاه فلن أنقله .

كاسيو : ماذا جرى يا صفيتى بينكا ماذا جرى ؟

عطيل (فى مكمنهِ) : يا لله لا بدَّ أن يكون هذا منديلى .

بينكا : إذا أردت أن تجىء لتناول العشاء الليلة فأهلاً وإلَّا فتعالَ حين تشاء (تخرج بينكا)

ياجو : أُعدُ وراءها أدركها .

كاسيو : لا بدّ لى من ذلك أو تَمْلَأَ الطرق صِياحًا .

ياجو : أتتعشى هناك .

كاسيو : هذا إزماعى .

ياجو : لعلى ألحق بك إذ أننى فى حاجة لمفاوضتك .

كاسيو : تعالَ ولك الفضل . أتجىء ؟

ياجو : كفاية لا تزد (يخرج كاسيو)

عطيل (متقدماً) : أَيةُ قِتْلَةٍ أقتله ؟ أشِر .

ياجو : أرأيت كيف كان يضحك من جريمته ؟

عطيل : ياجو ياجو .

ياجو : وهل رأَيت المنديل ؟

عطيل : أكان منديلى .

ياجو : منديلَكَ قسمًا بيدى ومن الغريب أن تكون هذه عنده قيمة امرأَتك المجنونة التى تعطيه منديلاً ويعطيه بغيًّا .

عطيل : أتمنى لو مكثت تسع سنين أقتّله — امرأة جميلة ، امرأة رشيقة ، امرأة أنيسة .

ياجو : لا بدَّ لك من نسيان كل هذا .

عطيل : نعم ولتذهب إلى حيث تَقْضِى ولتَهْلِكْ جسماً ونفساً فى هذه الليلة . . . لن تعيش . . . لا . . . إن قلبى قد تحوّل إلى حجر ، أضربه ويجرَحُ يدى . أواه ليس فى العالم أعذبُ منها امرأة . كان يحق لها أن تقترن بملك كبير وتأمره بما تشاء .

ياجو : ليس هذا ما ستفعله معها .

عطيل : لتشنق . . . ولكن اذكر صفاتها . ما أبرعها فى تقليب الإبرة ، ما أمهرها فى الموسيقى . إذا تغنت أزالتْ وحشيةَ الضارى غير أنها مع ذلك الذكاء وتلك الفطنة . . .

ياجو : أجدر بالتثريب .

عطيل : ألف مرة أجدر . ثم ما أشرف مَحْتِدَها[1] .

---

(١) أصلها .

ياجو : أشرف من أن يعبث به هكذا

عطيل : تجاوزت حده بلا مراء ولكن يا للغبن، ياجو يا للخسارة .

ياجو : إذا كنت مغرماً إلى هذا الحد بفجورها فأعطها إجازةً لارتكاب الخطايا وهذه الإباحة لا تعنى أحداً غيرك .

عطيل : سأَهْشِمُهَا هشماً ، تلك التى عرضتنى لهذه المهانة .

ياجو : إن ذنبها لعظيم .

عطيل تخونني مع تابعى !

ياجو : وهذا ذنب أعظم .

عطيل : هيئ لى سمًّا ياجو . . . الليلة . لا أُريد أن يجرى عتاب بينى وبينها مخافة أن يتغلب جسمُها وجمالُهَا على نفسى — الليلة يا صاحبي .

ياجو : لا تقتلها بالسم اُخْنُقْهَا فى نفسِ السرير الذى دنستهُ .

عطيل : هذا العقاب أعجبنى وهو أفضل .

ياجو : أما كاسيو فدعنى أتولّ القضاء عليهِ وستعلم بقية أمرى فى منتصف الليل .

عطيل : غاية فى الإحسان (يسمع بوق) ما هذا البوق ؟

ياجو : رسول من البندقية بلا شك . . هذا لودفيكو آتياً من قِبل الدوج وهذه امرأتك تصحبهُ .

(يدخل لودفيكو وديدمونه وأتباع لهما)

لودوفيكو: كلأك الله أيها القائد الشريف .

عطيل : مطيعك من صميم الفؤاد يا سنيور .

لودوفيكو: الدوج وأعيان البندقية مرسلون إليك تحياتِهِمْ .

عطيل : أقبل الهِنة[1] الحاملةَ لمشيئتهم .

ديدمونه : وما وراءك من الأخبار يا ابن عمى لودوفيكو .

عطيل : أنا مسرور برؤيتك يا سنيور مرحباً بك فى قبرس .

لودوفيكو: شكراً لك ، وكيف الملازم كاسيو ؟

ياجو : حى يا سنيور .

ديدمونه : يا ابن عمى لقد قام بينه وبين مولاى خلاف أحزننى لكن أرجو أن تعيد المياه إلى مجاريها .

عطيل : أواثقة أنت من ذلك ؟

ديدمونه : مولاى .

عطيل قارئاً : « وإليك أن تفعل فى هذا الأمر ما تراه » .

---

(١) الشىء .

لودوفيكو: لم يخاطبك بل كان مشتغلاً بمطالعة هذا الكتاب.
أوجد شِقاقٌ بين القائد وبين كاسيو ؟

ديدمونه: شقاقٌ ساءنى جدًّا وأرغب فى إزالته كل الرغبة لما لى من العطف على كاسيو.

عطيل: لَهبٌ ومِلْحُ بارود.

ديدمونه: مولاى.

عطيل: أمعكِ مُسْكَةٌ من العقل ؟

ديدمونه: أتراه غضبان.

لودوفيكو: لعل هذا الكتاب أثر فيه فإن بهِ على ما أظن استدعاءه إلى البندقية وتقليدَ منصِبه لكاسيو.

ديدمونه: حبذا البشرى وما أفرحنى بها.

عطيل: الله الله.

ديدمونه: مولاى.

عطيل: أنا فرح بأن أراك مجنونة.

ديدمونه: كيف يا مولاى الكريم.

عطيل: أنت شيطانة (يصفعها).

ديدمونه : لَمْ أَسْتَحِقَّ هَذَا .

لودوفيكو : لو أقسمت فى البندقية أنى رأيتك تضربها لما صدقونى . هذا فوق الطاقة . استغفرها إنها تبكى .

عطيل : يا للشيطانة الشيطانة لو كانت الأرضُ تلقحُ بعبراتٍ لكانت كلُّ دمعةٍ تسقط من عيون امرأةٍ تلد تِمْسَاحاً . إليك عنى .

ديدمونه (تتجه للانصراف) : أنصرف منعاً لاستيائك .

لودوفيكو : هل فى السيدات أطوعُ منها ، أبتهل إليك يامولاى أن تدعوها .

عطيل : أيتها السيدة .

ديدمونه : مولاى .

عطيل : ما تريد منها يا سنيور .

لودوفيكو : من ؟ أنا يا سيدى ؟

عطيل : نعم . أنت رغبت إلىَّ فى دعوتها ولها أن تجىء وتذهب وتدور وتتقدم وتتأخر كما تشاء ولها أن تبكى ما تبكى . وهى طيّعة كما تقول يا سنيور ، طيّعة

جدًّا . . واصلى البكاء . . أما محتوى هذا الكتاب فهو أننى أُمرت بالعودة إلى البندقية أواه مما تُرْهِقنى الآلام — اذهبى وسأبعث فى طلبك بعد هنيهة . . سنيور إنى مطيع للأمر وسأرْجِعُ للبندقية . . توارَىْ من هنا انصرفى . (تخرج ديدمونه) سيتولى كاسيو مكانى . سنيور أرجو أن تجيب دعوتى إلى العشاء الليلة . مرحباً بك فى قبرس ياسنيور — تيوسٌ وقِرَدة .

لودوفيكو : أهذا هو ذلك المغربى الذى أجمع مجلس أعيانِنا على امتداحه فى كل شىء أهـذا هو ذلك الطبع الذى لا يستفزُه الغضبُ والذى تتعالى شجاعته عن أن تنالها وَرْيَةُ زَنْدٍ من زناد العرض أو تصيبَها رَمْيةٌ من سهام الطوارئ ؟

ياجو : لقد تغيَّر حتى تنكر .

لودوفيكو : أهو مالك عَقْلَه ، أو ليس به مَسٌ وخبال .

ياجو : هو ما ترى . لا ينبغى لى أن أنتقده . وليته كان كما يجب ، بل كما يستطيع أن يكون .

لودوفيكو : يا للفظاعة يضرب امرأته .

ياجو : بذمتى لم يكن عمله جميلاً ولعلّه لا يتبعه بأقبح .

لودوفيكو : أهذه عادته أم أثر فيه هذا الكتاب تأثيراً حمله على ارتكاب هذه الهفوة ؟

ياجو : ليس مما يقتضيه وفائى أن أخبرك بما رأيت وعرفت . ستعلم من أفعاله ما يغنيك عن كلامى ، تتبعه وارقب ما سيكون من بقية أمره .

لودوفيكو : إنى أسيف لما اعتقدته فيه من الخير .

المشهد الثانى

مسكن فى القصر

(يدخل عطيل وإميليا)

عطيل : إذنْ لم ترىْ شيئاً ؟

إميليا : ولم أسمعْ ولم يخامرْنى ظن .

عطيل : بلى رأيتهما معاً هى وكاسيو .

إميليا : لكننى لم ألمح ريبة خلالَ هذه المقابلات ولم يفتنى هِجاءٌ مما كانا يقولانه .

عطيل : غريب . ألم يتهامسا ؟

إميليا : قط يا سيدى .

عطيل : أوَلم تبعدك مرة عن مكان الاجتماع ؟

إميليا : قط .

عطيل : لتجيئها بِمِرْوَحتِهَا أو قفازيها أو حجابِ وجهها أو أىِ شىء آخر .

إميليا : قط يا سيدى .

عطيل : غريب .

إميليا : أقسم إنَّها طاهرة يا سيدى وأخاطر على حياتى فإن كان قد خامرك ريب فقد خدعت وإن كان لئيم غادر قد دسَّ فى نفسك هذا الشك فليلعنه الله لعنة الثعبان . فوالله لئن لم تكن عفيفةً نقية صادقة فليس فى الدنيا رجل سعيد وليس فى النساء مهما طهُرت الواحدة منهن إلا كلٌّ ملوثةٍ كالفضيحة بعينها .

عطيل : أبلغيها أمرى بالمجىء (تخرج إميليا) تتكلم بجلاء ولكنها قوَّادةٌ كسائر القوادات لا تستطيع أن تقول إلا ما قالته . أما تلك فبغىٌّ حذرة بل غرفةُ سوءٍ مقفلةٌ على أسرارٍ نجسة ، ومع هذا رأيتها تجثو وتصلى . رأيتها . . .

(تدخل ديدمونه و إميليا)

ديدمونه : مولاى ما مشيئتك ؟

عطيل : تعالى إلى هنا يا دَجَاجَتى .

ديدمونه : ما الذى تريده .

عطيل : أرينى عينيك . انظرى إلىّ مواجَهَة .

ديدمونه : ما هذه الأمنية المنكّرة ؟!

عطيل (إلى إميليا) : أنت يا سَمْحة جودى علينا ببعض الخِدم التى تحسنينها . دعى العاشقين مختليين وأقفلى الباب ثم اسْعُلِى أو همهمى إذا جاء أحد . إلى مهنتك . امضى . أسرعى (تخرج إميليا) .

ديدمونه : ألتمس منك جاثيةً أن تقول لى ما معنى هذا الخطاب. أحسّ فيه الغضب ولكن الألفاظَ لا أدرك معناها.

عطيل : أجيبينى ، من أنت ؟

ديدمونه : زوجُك يا سيدى ، حليلتك المخلصة الصادقة :

عطيل : أقسمى على هذا واقضى على نفسك بعذاب الآخرة إن لم يكن حقًّا . إنك لتشبهين الملائكةَ شبهاً يخيف الشياطينَ من قبضك ... أقسمى مرتين على حياتك الآخرة بأنك طاهرة .

ديدمونه : السماء تعلم عفتى بكل تحقيق .

عطيل : السماء تعلم بكل تحقيق أنك خادعة كجهنم .

ديدمونه : خدعتُ مَن يا سيدى ؟ ولمن ؟

عطيل : آها ديدمونه اذهبي اذهبي اذهبي .

ديدمونه : أواه من هذا اليوم المشئوم لماذا تبكى ، أأنا مسببة هَذَا البكاءَ يا سيدى . إذا كنت تظن أن أبى كان الساعِيَ فى رجوعك فهل علىّ ملام ؟ وإذا كنتَ قد فقدت صداقته فقد فقدتها أنا أيضاً .

عطيل : لو أنه طاب للسماء أن تمتحننى بأشدّ البلايا فأمطرت على رأسى حاسراً صنوفَ الآلام والمعرّات وأغرقتنى فى الفقر إلى الشفتين وسامتنى الأسرَ وخيبةَ البقيةِ من آمالى ، لوجدتُ فى زاوية من نفسى أدنى موضع للصبر ، ولكن يا للحيف ، لا صبر لى على أن أكون تمثالاً يرمقه الزمان ويشير إليهِ الاحتقار بأصبع يرفعُها على مَهل . على أننى ربما تماديت إلى تحمل هذا ولا بأس . إلاّ أن هناك مَقْدِساً أودعت فيه قلبى وهو الذى يجب أن أعيش فيه أو لا معنى للعيش ؛ ثم إن هناك يَنبوعاً يجرى منه تيار بقائى وبدونه يَنْضُب فأنا بين خُطتين إما أن أُطردَ من المقدِس وإما أن أُبقىَ اليَنبوعَ مباحاً كالبئر ترِده الصراصير

القذرة وتتواقع بجانبه وتتناسل . إيهاً أيها الصبر
إيها أيها المَلَكُ الوردىّ الثغر ، تحول تجاهَ هـذا
المشهدِ واتخذ وجهاً قاتماً كوجه سقرَ[1] .

ديدمونه : أرجو أن يكون سيدى على يقين من عفتى .

عطيل : إى نعم كيقينى من ذباب الصيفِ فى المجازر لاتبيض
حتى تتجامع . أيتها الزهرة المتناهية رقةً وجمالاً
النافِحَة من الطيب ما يُسكرُ الجوارح لماذا ولدت
فى الدنيا ؟ !

ديدمونه : يا ويحى أيةَ خطيئة من خطايا السهو اقترفت ؟

عطيل : هذه البِشرَة الناعمة . هذا الكتابُ الشائقُ المكسوُّ
أكان مُعدًّا لتخطّ على ظاهره كلمة « مومس » ؟ أية
خطيئة ارتكبتها ؟ ! يا بغىَّ السوق لو ذكرت لك
ما فعلتهِ لاحمرّت وجنتاىَ كالتَّنور ولسحقتَا كلَّ
خجل سَحْقَ الرماد . أيةُ خطيئة ارتكبتها ؟ السماء
تَسُدُّ أنفها من رائحتها والقمرُ يُغمِضُ عينيه من

---

(١) جهنم .

قبحها والنسيمُ الفاسِقُ الذى يُقَبِّلُ كلَّ ما يمر به يختبئُ منها فى جوفِ الأرض ويأبى سماعها . أيةُ خطيئة ارتكبتها أيتها الفاجرة الوَقِحَة ؟!

ديدمونه : وَايْمُ السماء إنك لتفترى علىَّ الإهانة .

عطيل : ألستِ عاهرة ؟

ديدمونه : لا والذى خلقنى متَّقيـة ، وإذا لم يكن إثماً علىَّ حفظِى لهذا الإناء الجثمانى نقيًّا من كل شائبة ومَلْمَسٍ سيئٍ فلستُ ما تصف .

عطيل : وكيف لست بغيًّا .

ديدمونه : إنى لمؤمنة ببراءتى كإيمانى بنجاتى من عذاب الآخرة .

عطيل : أفى الاحتمال هذا ؟

ديدمونه : غفرانك اللهم لنا غفرانك .

عطيل : إذن أسألك العفو فقد كنت ظننتك تلك الخبيثةَ العاهرة من عواهر البندقية التى اقترنت بعطيل . أنت يا سمحة أنت التى تمتهنين نقيضَ مهنة بطرس وتحرسين أبوابَ جهنم .

(تدخل إميليا)

عطيل : أنتِ أنتِ! نعم أنتِ. لقد قضينا لُبانَتَنا وهذا جزاؤك من النقود. أرجو أن تُغلِق الأبوابَ وتكتُمِي سرّنا (يخرج).

إميليا : ويلاه ماذا يتصور هـذا السيد؟ كيف أنتِ الآن يا مولاتى الكريمة؟

ديدمونه : بين نوم ويقظة.

إميليا : ماذا جرى بينك وبين مولاى؟

ديدمونه : وبين مَن؟

إميليا : وبين مولاى يا سيدتى.

ديدمونه : مَن مولاكِ؟

إميليا : الذى هو مولاكِ يا سيدتى.

ديدمونه : لا مولى لى. لاتكامينى إميليا فما أستطيعُ البكاء ولا جوابَ بغيره عندى. أرغب إليكِ أن تضَعِى فى هـذا المساء على سريرى أغطيةَ العرس. لا تنسَىْ واذهبى فادعى زوجك إلىّ.

إميليا : هذا تغيير عجيب (تخرج).

ديدمونه : عدلٌ ما عوملت بهِ، عدل ولكن ما الذى صنعتهُ

حتى إن أكبر هفواتى أدخلتْ على نفسه أدنى ريب !

(تعود إميليا وياجو)

ياجو : ماذا تريدين يا سيدتى ؟ ماذا جرى ؟

ديدمونه : لا أقدر على ذكره ، الذين يربون الأطفالَ يَرفُقُونَ بهم ويكلفونهم الأعمالَ السهلة ، كان يستطيع أن يعامِلنى هكذا — لأننى طفلة متى زجرت . . .

ياجو : ماذا حدث يا سيدتى ؟

إميليا : ويلاه إن سيدى قد أهانها كثيراً ودعاها بغيًّا وحقَّرَهَا تحقيراً مُرْهِقاً بألفاظ سمجة لا تطيقها القلوبُ الكريمة .

ديدمونه : أأنا جديرة بهذه التسمية يا ياجو ؟

ياجو : أية تسمية أيتها السيدة الجميلة ؟

ديدمونه : التى دعانى بها مولاى .

إميليا : دعاها بعاهرة وهو ما لا يقوله الشحاذُ السكران لمن هى معه .

ياجو : علام فعل هذا ؟

ديدمونه : لا أدرى . وأنا على ثقة من أننى لست كما زعم .

ياجو : لا تبكى لاتبكى . ويلاه ، مصيبة .

إميليا : أتركت سائر خطابها الشرفاء وهم كثير ، وتركت أباها وبلادها وأصدقاءها لتسمى عاهرة ؟ أليس فى هذا مايستبكى ؟

ديدمونه : قَضَاءٌ من نحسى .

ياجو : لعنة الله عليهِ لفعله هذا ، من أين أصابه هذا الجنون ؟

ديدمونه : الله وحده يعلم .

إميليا : بل على عنقى . إن هناكَ غدّاراً هَالِكاً دسّاساً محتالاً شحاذاً نمّاماً غشّاشاً وَشَى وشاية لينالَ منصباً . على عنقى هذا ما هو كائن .

ياجو : دعى الوهم أيوجد رجل من هذا النوع ؟ ! محال .

ديدمونه : إذا كان موجوداً فليسامحه الله .

إميليا : بل ليسامحه حبلُ المِشْنقة ولتأكلْ جهنم عظامه . لمَ دعاها بغيًّا .. من الذى يعاشرها وأين ومتى وأى ظاهر دل . وهل هو معقول ؟.. لقد خدع المغربى .

خدعه أحدُ السَّفِلَةِ الأدنياء المجرمين الأبالسة أحد المكرة الممتهنين . ياللسماء لو عدلت لوجب أن تكشفى الستار عن أولئك المجرمين وتضعى سوطاً فى يد كل رجل كريم ليُساطَ به أولئك اللئامُ فى أطراف الدنيا من الغرب إلى الشرق .

ياجو : اخفضى من صوتك .

إميليا : خيبةٌ وعارٌ على أولئك الناس . ألم يُدخِل عليك واحدٌ منهم أن يبنى وبين المغربى ريبة (مخاطبة ياجو بصوت منخفض) .

ياجو : (من جانب إلى إميليا) أنت حمقاء امشى .

ديدمونه : ياجو واحسرتاه كيف أصنع لأعودَ إلى رضى مولاى اذهب إليه يا صديقى لأنى وَايمُ هذا النور السماوى لاأعرف كيف فقدته . إننى لأجثو هنا ولئن كنت قد أخطأت إلى غرامِه مرة عن قصد سواء بلسانى أم بفكرى أو بفعلى ، بل لئن كانت عيناى أو أذناى أو أية حاسَّةٍ من حواسى الأخر مالت إلى غيره ،

بل لئن كنت غيرَ مقيمةٍ على حبه الآن كما كنت أحبه وكما سأحبه أبداً حتى ولو قذف بى فى شقاوة الطلاق ، لا كانت لى سلوى ولا تعزية فى هذه الدنيا . إن القسوة لتقدر على كثير وقسوتُهُ علىَّ قد تقتلنى على أنها لا تدنِّسُ غرامى . أنا لا أستطيع أن أقول بغى . . هذه الكلمةُ يؤلمنى لفظُها فما بال العمل الذى يَصِمُ بها ولو دعتنى إليه جميع أباطيل الحياة .

ياجو : صبراً صبراً إن هى إلاّ سحابةُ كدرٍ وتنقضى . لقد أزعجته أحوال الحكومة فوقع عليك غضبه .

ديدمونه : إن لم يكن سببٌ إلا هذا رضيت .

ياجو : لا سبب إلا هذا ، على عهدتى (تسمع أبواق) اصغى هذه الأبواق تدعوك إلى العشاء وسفراء البندقية فى انتظارك للجلوس إلى المائدة . انهضى إليهم ولا تبكى ثم كل شىء يجىء على المرام (تخرج ديدمونه وإميليا) ما جاء بك يا ردريجو .

(يدخل ردريجو)

ردريجو : لا أجدك تحسنُ الصنيعَ معى .

ياجو : ما يثبت لك ذلك .

ردريجو : كل يوم تطاولنى ملتمساً عذراً جديداً ويظهر أنك تمنعنى الفرصَ بدلاً من أن تساعد على سنوحها . لن أتحمل هذه السيرة ولم يبقَ فى وسعى أن أهضم بسكينة كل ما هضمته عن حمق من قبل .

ياجو : أتصغى إلىّ وتمتثل يا ردريجو ؟

ردريجو : وذمتى لقد طالما امتثلت فما حَلَوْتُ بطائل لأن أقوالك لا تنطبق على أفعالك .

ياجو : تتهمنى بغير حق .

ردريجو : بل بحق ، فلقد أنفقتُ ما جاوزَ مَقْدرتى والجواهر التى أعطيتك إياها برسم ديدمونه كانت تكفى لقصم راهبةٍ من نصفها ؛ فإن كنت قد أوصلتها كدعواك وكانت العِدات[1] التى جئتنى بها منها شكراً صحيحاً فلمَ لا أجد تحقيقاً لشىء منها ؟

---

(١) المواعيد .

ياجو : امضِ فى كلامك . هذا حسن .

ردريجو : امضِ . كفانى ما مضى — هذا حسن . أقول إن فعله ليس بحسن . بل إنه نهاية فى القبح وقد ألمح أنك عَبِثْتَ بى فى هذه المسألة .

ياجو : حسن فى الغاية .

ردريجو : قلت لك إنهُ غير حسن لا فى الغاية ولا فى البداية . أريد أن تعرفنى ديدمونه ؛ فإذا ردّت علىَّ جواهرى عدلت عن متابعتها والتمست الصفحَ منها عن سوء ما ندبتها له وإلاَّ جعلتكَ مسئولاً عنها وأنزلت بك عقابى .

ياجو : ماذا كنت تقول بعبارتك الأخيرة .

ردريجو : لم أقل إلاَّ ما أنا مزمع فعلهُ عن يقين .

ياجو : الآن تبينت أنك باسل ، ومنذ الساعة أرى فيك رأياً لم أره من قبل . صافحنى يا ردريجو لقد أسأتَ بى الظن ولك العذر غير أننى أؤكد لك أننى اشتغلت بمهارة لا تقبل المزيد فى مسألتك .

رودريجو : مهارة لم أتبين أثرها !

ياجو : أسلّم ، ولهذا أجدك حكمت بعقل . لكن إذا صحّ أن عندك ما أعتقده الآن فيك من الشجاعة وَرَباطة الجأش فأرنيهما الليلة ؛ فإذا كنت فى الليلة التالية لا تتمتع بديدمونه كان لك أن تقصينى عن هذه الدنيا بخيانتى وتَنْصِبَ من الفِخَاخِ ما تشاء لإفقادى حياتى .

رودريجو : أوافق . ما الذى تبتغيه منى ؟ أشىء فى الإمكان أو المعقول ؟

ياجو : لقد جاء وفد خاص من البندقية لإحلال كاسيو محلَّ عطيل .

رودريجو : أصدق هذا النبأ . إذن عطيل وديدمونه يعودان إلى البندقية .

ياجو : كلا ، بل يذهبان إلى موريتانيا إلاّ إذا اضطرت الأحوال عطيلاً أن يُطيلَ مُقامَهُ هنا ، وخير ما يستطالُ به مقامُه أن يحذَفَ كاسيو .

رودريجو : ما تعنى بهذا الحذف ؟

ياجو : أعنى أن يُعاقَ عن الحلول محلّ عطيل . . . أن يُهَشَّمَ رأسه .

ردريجو : وهذا ما تنوطه بى .

ياجو : نعم إذا جرؤت أن تملّك نفسك نفعاً وحقّاً . سيتعشى الليلة عند فاجرة فالحقْ به إلى منزلها وهو ما زال يجهل النعمة التى وقعت إليه فارقبه إن شئت بين منتصَفِ الليل والساعةِ الواحدة . . . ومتى ألفيتنى بجانبك لأعينك بحيث لا ينجو من ضرباتنا ، فاعزم ولا تقف دَهِشاً متردداً بل تعال معى ، سأريك بعينيك وجوبَ قتله فتجدُ من نفسك عاملاً على الإيقاع به . قد مضى ميعاد العشاء فلا تتباطأ لعدم فوات الفرصة هلمّ بنا إلى العمل .

ردريجو : أريد أسباباً أدعى من هذا لارتكاب ما تكلفنى إياه .

ياجو : سأوافيك منها بما تشاء . أرح بالك (يخرجان)

المشهد الثالث

مسكن آخر فى القصر

(يدخل عطيل ولودوفيكو وديدمونه و إميليا وأتباع لهم)

لودوفيكو: حلفت عليكَ إلا ما منعتَ عن نفسك أمثالَ هذه المكدرات .

عطيل : ألا تسمح بالخروج قليلاً لأن التنزه يفيدنى .

لودوفيكو: طاب ليلكِ يا سيدتى وشكراً جزيلاً لفضلك .

ديدمونه: الشكر لك على التشريف .

عطيل : أتمضى للتنزه يا سنيور .. أه ديدمونه .. انطلقى وادخلى سريرك منذ الآن . سأعود بلا توانٍ ثم أُصرفى التابعة ولا تنسى .

ديدمونه: نعم يا مولاى (يخرج عطيل ولودوفيكو والأتباع)

إميليا : يظهر أنهُ أصفى مما كان .

ديدمونه : قال إنهُ عائد حالاً وأمرنى أن أذهب إلى السرير وأوصانى بصرفك .

إميليا : بصرفى ؟

ديدمونه : كذا أرادَ ؛ فأعْطِينِى يا عزيزتى إميليا بدلة نومى ودعينى ، إذ لا ينبغى أن نفعلَ الآن ما لا يرضيه .

إميليا : كنت أودّ لو لم تريهِ قط .

ديدمونه : ليس هذا ما أود وإنَّ حبى له ما زالَ بأ كمله — أرجو أن تفكى عُرى ثوبى — حتى إننى لأجدُ لطفاً وجمالاً فى غَضَبِهِ وَزجَرَاتِه .

إميليا : جعلتُ على السريرِ الأغطيةَ التى أوصيتنى بوضعها

ديدمونه : استوى عندى كل شىء . ما أعبثَ الجنون بنفوسنا . إذا مِتُّ قبلك فأمنيَّتى أن تَلفّينى بهذه الأغطية .

إميليا : دعى دعى السفسفات .

ديدمونه : كانت لأمى وصيفة تدعى برباره وكانت تعشقُ رجلاً . ذلك الرجل أصيب يوماً بخبال وهَجرَها فكانت لا تَفْتأُ تُنشدُ أنشودةً قديمة تعبر أحسنَ تعبيرٍ عن

سوء بَخْتها . ولما حضرتها الوفاة قضَتْ نحبَها وهى تتغنى بها . تلك الأنشودة تعاودُ فكرى الليلة بلا انقطاع ، وأكاد لا أملك رأسى أن يميلَ إلى جانب ولا لسانى أن يردد أنشودةَ المسكينة برباره . عجلى ولك الشكر .

إميليا : أأحضِرُ لك قميصَ النوم ؟

ديدمونه : لا ، أعينينى على تفكيك هَذِهِ العُرَى ، إن لودوفيكو لرجل كريم .

إميليا : ومُنيف فى الرجال .

ديدمونه : وحَسَنُ الحديث .

إميليا : أعرف امرأة فى البندقية لو وُعِدَتْ بقبلةٍ من شفته السفلى لسافرت إلى فَلَسطين فى طلبها .

ديدمونه (متغنية) :

« ثوَت الحزينة تبكى تحت الجميزة »

« غنوا جميعاً على الصفصافة الخضراء »

« وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبتها »

« غنوا جميعاً على الصفصافة الصفصافة الصفصافة »

« وكانت المياه الباردة تجرى بقربها وتتنهد تنهدها »

« غنوا على الصفصافة »

« ودموعها تجرى حتى تلين الصخور »

ضعى هذه الملابس ههنا

(متغنية) « غنوا على الصفصافة ... »

بحياتك عجّلى قد قَرُبَ معاده .

(متغنية) « ليصنع تاجى من صفصافة خضراء »

« لا تلوموه على الجفاء أفديه وأَفْدى إعراضه »

نسيت البقية : سمعاً .. من يطرق الباب ؟

إميليا : الريح .

ديدمونه (متغنية) :

« دعوته بالعاشق الكاذب فماذا قال »

« غنى على الصفصافة . . . . . »

« إذا غازلتُ غيرَكِ من النساء غَازَلْتِ غيرِى من الرجال »

الآن اذهبي ومَسَّاكِ الله بالخير : جُفُونى تَخِزُنى . أسبقُ شعور بأننى سأبكى . . ؟

إميليا : هذا لا يدل على شىء .

ديدمونه : كنت سمعت كلاماً فى هذا المعنى . أوّه الرجال الرجال ! أتظنين يا إميليا وجود نساءٍ يُهِنَّ بعولتَهن إهانةً غليظة كهذه ؟

إميليا : توجد نساء من هذا القبيل ولا شك .

ديدمونه : لو أعطيتِ العالمَ بَديلاً أكنت تقترفين خطيئةً كهذه .

إميليا : أقترفها ولا ريب . . أما أنتِ أفما كنتِ لتفعلى .

ديدمونه : لا وهذه الأنوارِ السماوية .

إميليا : أنا أيضاً لا أفعلها وهذه الأنوارَ [1] السماوية أمَّا فى الظلام فبلى .

ديدمونه : أتفعلينها ولو أعطيتِ العالم كلَّهُ ؟

إميليا : العالم شىء عظيم وهو جائزة كبيرة لخطيئةٍ صغيرة .

---

(١) الأنوار فى السطر السابق مكسورة على الإقسام وفى هذا السطر منصوبة باعتبار أن الواو واو المعية .

ديدمونه : أظنك إذا جدّ الجد لا تقترفينها .

إميليا : إذا جدّ الجد أظننى أفترقها ، وأننى بعد اقترافها أتوبُ عنها . لا جَرَم أن الهدية لو كانتْ خاتماً مضاعفاً أو بعضَ أصوافٍ أو ثيابٍ أوْ قُبعات أو أىَّ شىء حقير من هذه الدنايا لصنتُ نفسى ، وأما الدنيا بحذافيرها فلا . وهل توجد امرأة لا تشترى لزوجها الملك بقرنين خَفِيْن . من يقلدْ بعلى التاج فقد رضيت بالأعراف[1] سبيلاً .

ديدمونه : رضيتُ بلعنة الله لو رضيتُ بالدنيا قاطبة جزاءَ خطيئةٍ من هذا القبيل .

إميليا : خلّ عنك ، لو أوتيتِ الدنيا لما كانت خطيئتُكِ فيها إلا إحدى الخطايا التى تجرى فى أملاكك ولك حينئذٍ أن تكفرى عنها سريعاً بما تشائين .

ديدمونه : لا أعتقد وجود مثل هذه المرأة .

إميليا : نعم توجدُ من صنفها عشرات بل بتعدادِ ما يكفى لعمار

---

(١) مكان تطهير النفوس بعد الموت .

العالم الذى يقامرن لأجله . على أننى أعتقد أن النساء إذا عَثَرْنَ فالذنب للبعولة لأنهم بين خَلّتين[1] إما أن يهملوا واجباتهم ويُلقُوا بكنوزهم فى أحواض أجنبيات أو أن يتفجروا عليهنَّ غَيْرةً فيسومونهنَّ المضايقة وآلام الضرب ؛ وقد يبتزونَ أموالهنَّ . ومهما يكن من طبائعنا فإن فيها لشيئاً من السم ، ولسنا خاليات من شغف بالانتقام تحتَ ما يروق من مظاهرنا . . ليعلم الأزواجُ أن لنسائهم حواسّ مثلهم وأن لهنَّ عيوناً ومَناشِقَ وحُلوقاً يميزن بها الحلو من المرّ كما لهم . وماذا هم فاعلون حين يستبدلون واحدة منا بغيرها ؟ أهى اللذة تدعوهم ؟ نعم . أهو الغرامُ يدفعهم ؟ نعم أيضاً . أهو الضعفُ يتنقل بهم فى هذه الضلالات ؟ نعم نعم نعم ! فإن كان الأمر كذلك أفليست لنا نحن أيضاً لذاتٌ نشتهيها ومودّاتٌ نبتغيها مع ضعف كضعفهم يحملنا على غيرِ مَحْمِل ؟ لهذا أقول إمَّا أن يحسنوا

---

(١) أمرين .

معاملتنا أو فليعلموا أن الآثام التى نقترفها إنما هى رجع ما نتعلمه من آثامهم .

ديدمونه : طاب ليلك ومُسيتِ بخير وليمنحنى الله أخلاقاً تعيننى لا على استخراج الشر من الشر بل على استخراج صلاح لنفسى من حيث لا يكون صلاح .

الفصل الخامس

المشهد الأول

فى قبرس — طريق

(يدخل ياجو وردريجو)

ياجو : ههنا .. قف وراء هذا الطرف من الحائط . إنهُ لآتٍ حالاً . اسلل نصلتك الماضية وأعطه بها جوازاً لسكنى الآخرة ... عَجِلاً عجلاً . لا تخف شيئاً أنا بجانبك . إننا بفعلتنا فائزان أو هالكان . تذكر هذا وامكث متيناً فى قصدك .

ردريجو : البث بقرب منى . أخشى أن يخور عزمى .

ياجو : ها أنذا على منالك . تشجع وقف متأهباً (يتنحى قليلاً)

ردريجو : لا أجد من نفسى دافعاً قويًّا على ارتكاب هذا العمل إلاَّ أن ياجو ذكر لى أسباباً مُقنعة . لقد قضِيَ على

الرجل . تجرّد من غمدك يا سيفى . إنه لهالك .

(يقف متأهباً)

ياجو : حككْتُ له ذلك الجرب حتى هاجَ وتحكّم . ليقتل كاسيو أو ليقتله كاسيو أو ليتناحرْ كلاهما فالنتيجة أية كانتْ مفيدةٌ لى . ذلك لأنهُ إذا بقى ردريجو طالبنى بالحلى والمصوغات التى سَلتهُا منهُ تِباعاً بزعم أنها هدايا إلى ديدمونه ؛ وما ينبغى أن يستردها منى . وإذا بقى كاسيو عاش عيشة رَغَدٍ ومجد تكون بجانبها عيشتى حقيرة جدًّا . فضلاً عن أن المغربى قد يكاشفه فى أمرى ، فأنا إذن فى خطر عظيم ولا بدَّ من قتله . صه صه . أسمعه قادماً .

(يدخل كاسيو)

ردريجو : عرفت خطاه .. هو بعينه — أنت مائت يا غادر يا أثيم

(يهجم من مكمنه ويضرب كاسيو)

كاسيو : لولا متانةُ درعى لكانت هذه الضربةُ أعدى أعدائى . سأرى الآن متانةَ درعك .

(يجرّد سيفه ويضرب ردريجو فيجرحه)

ردريجو : آه قتلت !

(ههنا يهجم ياجو فيضرب كاسيو من وراء ضربة تصيب فخذه ويتوارى)

كاسيو : كُسِرَتْ ساقى وسأعيش أعرج ، يا للناس ، على القاتل على القاتل (يسقط)

(يدخل عطيل من مسافة)

عطيل : هذا صوت كاسيو لقد وفَّى ياجو بوعده .

ردريجو : أواه ما أشقانى !

عطيل : صدقت !

كاسيو : المدد المدد أنيروا هاتو آسِياً (١) .

عطيل : هوَه ، أى ياجو الأمين الباسل الذى يَقْدُرُ إهانةَ صديقه قَدْرَهَا ، إنك لتعلّمنى ما يجب علىَّ . واعاهرتا إن حبيبك لملقًى صريعاً وإن أجلك ليدنو . . محوتُ

---

(١) طبيبا للجراحات .

من قلبي طلاسِم عينيك وسيضرجُ سريرك الذى
شابه الفسقُ بشوائبَ من دمٍ فاسق .

كاسيو : يا أهل المدد . ألاحرس هنا ؟ ألا عابرى سبيل ؟
يا للقتيل من القاتلين .

(يدخل لودوفيكو وغراتيانو من مسافة)

غراتيانو : هذا ولا ريب خطب جلل وصوتُ المستجيرِ
صوت رائع .

كاسيو : المعونة .

لودوفيكو: أصغوا .

ردريجو : يا للشقى الغادر .

لودوفيكو: هنا اثنان أو ثلاثة يَئِنّونَ والظلامُ حالك . من
رأيى ألاَّ نتقدم من حيث تخرج هذه الأصوات إلا
إذا جاء مدد جديد .

ردريجو : ألا يأتى أحد ، إذن يسيل دمى حتى أموت .

لودوفيكو: اسمع .

غراتيانو : هذا شخص يعدو عارياً ومعه نور وأسلحة .

(يعود ياجو ومعه مصباح)

ياجو : مَن هنا ؟ من الذى يقلق السكون بصيحاته واستجاراته .

لودوفيكو: لا نعلم .

ياجو : ألم تسمعوا صُرَاخاً ؟

كاسيو : إلى هنا إلى هنا أغيثونى بالله .

ياجو : ماذا جرى ؟

غراتيانو : هذا ضابط عطيل إن لم أكن واهماً .

لودوفيكو: هو بعينه ونعم الفتى الشجاع .

ياجو : مَن أنت أيها المستصْرخُ بهذا الصوت المنكر ؟

كاسيو : أياجو . ضربنى . قتلنى أناس من اللصوص أغثنى .

ياجو : أسفاً أيها الملازم مَن اللصوص الذينَ جَنَوْا هَذِهِ الجِنَاية ؟

كاسيو : أظن أن أحدَهم بقربى وحالتُهُ لا تمكنه من الفرار .

ياجو : ياللخونة الغدارين (ملتفتاً إلى لودوفيكو وغراتيانو) وأنتما مَن تكونان . أقبلا وامنحانا مدداً .

ردريجو : أغيثونى . أنا هنا .

كاسيو : هذا أحدُ المعتدين علىّ .

ياجو : يا لكَ من شحاذ قاتل . يا لك من غدار (يطعن ردريجو بخنجره) .

ردريجو : أواه أيها الهالك ياجو أيها الكلب الوحشى .

ياجو : يقتلون الناسَ فى الظلمات . أين أولئك اللصوص السفاكون للدماء ؟! ما أسكتَ هذه المدينة . . ! قتيل قتيل . ترى من أنتما ، أللخير أم للشر ؟

لودوفيكو: احكم لنا أو علينا بما سترى .

ياجو : السنيور لودوفيكو .

لودوفيكو: هو نفسه .

ياجو : التمس العفو — هذا كاسيو جرحه بعضُ المجرمين .

غراتيانو : كاسيو .

ياجو : كيف حالك يا أخى ؟

كاسيو : بُترَتْ ساقى شطرين .

ياجو : لا سمح الله . أنيرُوا الأُضَمِّدَ جُرحَهُ بِقِدّةٍ[1] من قميصى .

(تدخل بينكا)

---

(١) قطعة .

بينكا : ماذا حدث . من كان يستصرخ ؟

ياجو : من كان يستصرخ ؟

بينكا : واحيبياه كاسيو واعزيزاه كاسيو كاسيو كاسيو .

ياجو : يالك من عاهرةٍ فاجرة . كاسيو أَتُخَمِّنُ مَن المعتدون عليك ؟

كاسيو : لا .

غراتيانو : أنا حزين لرؤيتك هكذا وكنت قد خرجت للبحث عنك .

ياجو : أعرنى رَبطة ساق . وُضعتْ . إلينا بكرسى نحمله عليه .

بينكا : ويلاه أغمى عليه ، كاسيو كاسيو كاسيو .

ياجو : أيها السيدان أشتبه فى هذه المرأة الغادِرَة الواقفة هنا أنها شريكةٌ للمجرمين . صبراً قليلا أى صديقى كاسيو . هلم بنا أعيرُونى مصباحاً . أتعرفان هذا الوجه أم لا ؟ ويلاه صديقى ومواطنى العزيز ردريجو لا لا . بلى بلى . يقيناً هو . . ويلاه ردريجو .

غراتيانو : البندقى .

ياجو : هو نفسه أكنت تعرفه ؟

غراتيانو : حق المعرفة .

ياجو : أأنت السنيور غراتيانو . عَفْوَكَ ياسيدى فإن هذه الحوادثَ المشئومةَ هى التى شغلتنى عنك كما ترى .

غراتيانو : مسرور بمشاهدتك .

ياجو : كيف حالك الآن يا كاسيو ؟ أسعفونا بكرسى . . .

غراتيانو : ردريجو .

ياجو : هو هو بعينه . واهاً . جاء الكرسى (يجلب كرسى) ليحملْهُ أحَدُ الحاضرين بعناية وسأذهب لإحضار طبيب القائد (إلى بينكا) أما أنت يابنت فَأَبْقى على نفسك من التعب (إلى كاسيو) إن الذى يثوى هناك صَرِيعاً كان صديقاً كريماً علىَّ ، أى خلاف قام بينكما ؟

كاسيو : لم يكن بيننا خلاف وكنت لا أعرفه .

ياجو : (إلى بينكا) علامَ يَمتَقِعُ هذا الوجه ، رُدِّيه (يعنى

كاسيو) من الهواء (يحمل ردريجو وكاسيو) تخلفوا أنتم أيها السادة . ما أشدَّ اصفرارَك يا بنت . أترونَ شُرودَ عينيها . إذا كان الرعبُ قد استولى عليكِ فلنعلمنَ نبأه بعد حين . أرمقوها تفرسُوا فيها . انظروها . . . أتلمحون ؟ أيها السادة ستظهر الجريمة ولو أصبحَ الكلامُ عادةً مفقودة .

(تدخل إميليا)

إميليا : واحرباه ! ماذا جرى أيْ زوجى ماذا جرى ؟

ياجو : اعتُدى على كاسيو فى الظلام . هاجمه ردريجو وآخرون فرّوا . فأما كاسيو فصُرِع وأما ردريجو فتجندل .

إميليا : واحربا على كاسيو النبيل الكريم .

ياجو : هذا جَنَى الفسوق . بحقك يا إميليا إلا ما ذهبت حالًا تسألين كاسيو أين تعشى الليلة (إلى بينكا) أترتجفين من هذا السؤال ؟

بينكا : تعشى فى منزلى ولا أرتجفُ البتة .

ياجو : آه تعشى فى منزلك ؟ ! آمرك باتباعى .

إميليا : قبحاً لكِ يا عاهرة .

بينكا : لست بعاهرة ولكننى امرأة تعيش على هواها وعندى من العِفة مثلُ ماعندكِ ياسَاتِمَتِي .

إميليا : مثل عفتى ؟ ! أقبحاً وكذباً ؟ !

ياجو : هلم بنا سادتى الأعزاء نأسُ جِراحَ كاسيو . تعالى أنت يا بنت ، ستقصين علينا قصة أخرى . إميليا عَدْواً إلى القلعة وأخبرى مولاى ومولاتى بما حدث . أتتفضلون بالمسير (منفرداً) هذه الليلةُ ليلتى فإما العَمار وإما الدَّمار .

المشهد الثانى

غرفة نوم فى القصر

(ديدمونه فى سريرها و إلى ناحية منها مصباح يضىء)

يدخل عطيل

عطيل : تلك هى العلة[١] تلك هي العلة يا نفسى . علة أعتذر إليك عن تسميتها أيتها النجومُ الطاهرة . ومع هـذا لستُ عازماً على سفك دمها ولا على تمزيق بَشَرتها النقيةِ كالثلج الصقيلةِ كمرمر القبر غير أن موتَها متحتمٌ وإلا خانتْ رجالاً آخرين . لنطفىء المصباح . وبعد ... — إن أطفأتك يا وزيرَ النور ثم ندمت أعدتك إلى إضاءتك الأولى . ولكن متى أطفىء منك النورُ يا أبدعَ مثال من صنع الطبيعةِ الماهرة فما أعلم أىَّ ضرب من المُذكِيَاتِ[٢] التى يدخرها إله النار يستطيع أن يعيد إليك ذلك

---

(١) يريد بالعلة ضعف قوته الرجلية . (٢) النيران .

الرونق والبهاء . متى استؤصلت وردتُك النضيرة أصابَها الذبول والجفافُ لا محالة ولن أملكَ أن أرد عليها مَقْدِرَتَها الحيوية . أريد أن أتنشَّقها فى منبتِها (يقبلها) يا للعَرف الطيب الذى يكاد يُقنعُ العدلَ بكسر سيفه . قبلة ثانية ثم ثالثة . البثى هكذا حين تموتين فأقتلكَ وأحبُّك بعدها . قبلة أخرى وهى الأخيرة مافى سوابق الدهر قبلةٌ أعذبُ ولا أنكى عقبى من هذه . يجب أن أذرِف الدموعَ ولكنها دموعٌ جارحة . هذا الألم سماوى وإنما يضرب حيث يحب (تستيقظ) .

ديدمونه : من هنا ؟ عطيل .

عطيل : نعم ديدمونه .

ديدمونه : أتريد المجىء إلى السرير يا مولاى ؟

عطيل : هل صلَّيت الليلة يا ديدمونه .

ديدمونه : نعم يا سيدى .

عطيل : إذا كنت تتذكرين لك ذنباً مُبْقِياً فُرجةً[١] بينكِ وبين رحمة الله فاستغفرى حالاً .

ديدمونه : ويلاه يا مولاى ما معنى هذه الكلمات ؟

عطيل : استغفرى واختصرى سأتمشى قليلاً ريثما تنتهين . لاأريد قتلَ نفسك وهى خاطئة ، أبى الله . لا أريد قتل نفسك .

ديدمونه : أتذكر القتل ؟

عطيل : إياه أذكر .

ديدمونه : إذن لترحمنى السماء .

عطيل : آمين بكل جوارحى .

ديدمونه : أرجو أن لاتفعلَ وإن تكلمتَ هكذا .

عطيل : هِمْ هِمْ .

ديدمونه : ومع هـذا الأمل أنا خائفة منك لأنك لاتُرَدّ متى كانت عيناك تدوران هكذا .. لم أخاف ولا ذنب لى. ما أدرى . ولـكننى شاعرة بالخوف .

---

(١) مسافة .

عطيل : فكّرى فى خطاياكِ .

ديدمونه : لا إثم لى إلاَّ هواك .

عطيل : لهذا ستموتين .

ديدمونه : ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه ، ويلاه لِمَ تَعَضُّ هكذا على شفتك السفلى ، أجد بك الهِزّةَ التى تهتزها حين سفكِ الدماء غير أننى أرجو أن لا يكون تهديدُها موجهاً إلىَّ .

عطيل : اهدئى وأصغى .

ديدمونه : سأفعل . . ماذا تريد ؟

عطيل : ذلك المنديل الذى كنت أحبه كثيراً وأعطيتك إياه أنت أهديته إلى كاسيو ؟!

ديدمونه : لا وحياتى ونفسى . . استدعِ هذا الرجل وليسأل .

عطيل : احذرى يا حبيبتى احذرى من الحِنْثِ[1] وأنتِ على سرير الموت .

ديدمونه : نعم ولكن لا . لا أموت الآن .

---

(١) الكذب فى اليمين .

عطيل : بلى الآن . وأن تعترفى خير لكِ لأنكِ لو أنكرتِ كل جزء من أجزاء ذنبكِ وشفعتِ كل إنكار بقسم لما بددتِ قرةَ العقيدة التى أتألم منها . ستموتين .

ديدمونه : إذن ليرحمنى الله .

عطيل : آمين .

ديدمونه : ارحمنى أنت أيضاً . لم أسئ إليك قط فى حياتى ولم أحبب كاسيو بل ودِدْتهُ كما أباح الله الوِدَادَ المألوف ولم أهادِه لعمرى بشىء ما .

عطيل : لقد رأيت منديلى فى يديه ، ويحك من امرأةٍ خائنة إنك لتغيرين قلبى إلى صخر وتحولِينَ إلى مقتل ما كنت أعتقدُهُ قربانًا . رأيت المنديل بعينى .

ديدمونه : لعله وجده ضائعاً أما أنا فلم أعطه إياه . أرسل فى طلبه وليعترف بالحق .

عطيل : قد اعترف .

ديدمونه : ماذا تقول يا مولاى ؟

عطيل : إنه قضى منك مَأرباً .

ديدمونه : مأربَ سوء .

عطيل : نعم .

ديدمونه : لن يقول ذلك .

عطيل : أجل لأن فمه أقفل وقد صدَر أمرى إلى ياجو الوفىّ بما يجب .

ديدمونه : إن خوفى قد أدركَ معنى هذه الكلمات . أمات ؟

عطيل : لو كانت له أعمارٌ عِدادَ شعره لافترستها كُلَّها .

ديدمونه : ويلاه قد خانوه وأضاعونى .

عطيل : اهلكى يا فاجرة أتبكينه بمشهدٍ منى .

ديدمونه : بحياتك يا سيدى انفنى ولكن لا تقتلنى

عطيل : اهلكى يا فاجرة .

ديدمونه : اقتلنى غداً ودعنى أعيش الليلة .

عطيل : إذا حاولت المقاومة . . . .

ديدمونه : نصفَ ساعة بلا مزيد .

عطيل : لا تأخير .

ديدمونه : ميقاتَ ما أصلى .

عطيل : لاتَ ساعةَ صلاة[1] (يخنقها)*

إميليا (من الخارج) : مولاى مولاى !

عطيل : ما هذا الصوت . لم تمت تماماً إنى لقاسٍ ولكن رحيم . لاينبغى إطالةُ عذابك . هكذا هكذا .

إميليا (من الخارج) : مولاى مولاى !

عطيل : مَن هنا ؟

إميليا : مولاى الكريم ، كلمة واحدة !

عطيل : نعم هى إميليا. حالاً. ماتت. لعلها قادمة تخبرنى بموت كاسيو . كانت الضوضاء شديدة . آه متنع كل حَراك . ساكنةٌ كالقبر . أأسمح بدخولها أيحسن . أظنها تتحرك . لا . ما الأصلح . إذا دخلت حاوَلتْ بلا ريب مخاطبة امرأتى . . امرأتى . . أية امرأة . لا امرأة لى . . ياللذكرى الفاجعة يالَلساعة القاصمة يخيّلُ إلىَّ أن بالشمسِ والقمرِ مُحاقاً فظيعاً فى هذه الساعة، وأن كرةَ الأرض ستنشقُّ بين هذا الاختلاط

(١) مضت ساعة الصلاة .

إميليا (من الخارج) : يا سيدى الكريم أستحلفك أن تسمح لى بكلمة .

عطيل : كنت قد نسيت . ادخلى يا إميليا . تمهّلى . حالًا . لنسدل الأستار . أين أنت؟ (يفتح الباب) ماذا تلتمسين فى مثل هذه الساعة ؟

إميليا : ياسيدى الكريم قد ارتكبت جنايَة منكرة .

عطيل : متى . الآن ؟

إميليا : الساعة يا سيدى .

عطيل : هذا ناتج من مخالفات القمر لأنه يقرُبُ من الأرض أكثَر مما يجب ويُدْخِلُ الجنونَ على الناس .

إميليا : كاسيو ياسيدى قتل شاباً بندقيًّا يدعى ردريجو .

عطيل : قُتل ردريجو وقُتل كاسيو !

إميليا : لا . . كاسيو لم يقتل .

عطيل : كاسيو لم يقتل إذن فالقتل يتغنى غلطاً والانتقامُ المطرِبُ يشوش أنغامه .

ديدمونه : آه قتلت خطأ ، خطأ قتلت .

إميليا : ويلاه ما هذا الصوت ؟

عطيل : أى صوت ؟

إميليا : صوت مولاتى . الغياث الغياث . أى سيدتى تكلمى مرة أخرى ، أى ديدمونه الطاهرة ، أى مولاتى الرقيقة تكلمى .

ديدمونه : أموت بريئة !

إميليا : ومن جَنَى هذه الجناية ؟

ديدمونه : لا أحد . أنا جنيتها أستودعكِ الله ، اذكرينى لدى مولاى الحبيب آه أستودعكم الله (تموت)

عطيل : ولكن كيف أميتت ؟

إميليا : من يعلم ، يا للأسف .

عطيل : أسمعت من فمها أننى لم أكن أنا الفاعل ؟

إميليا : هذا ما قالته وعلىَّ أن أجيبَ بالحق .

عطيل : ذهبت إلى جهنَّمَ المحرقة بما كانت تكذب ، أنا الذى قتلتها .

إميليا : أواه إنها بهذه الميتةِ لم تردد إلَّا طهارةَ الملكَ الكريم

كما أنك لم تردد بجنايتك إلّا سَوادَ الشيطانِ الرجيم .

عطيل : كانت عاهرة .

إميليا : اتهمتها كذباً وَوِشَايَةً أنت إبليس .

عطيل : كانت غشاشةَ الظاهر كالماء .

إميليا : وأنت جسورٌ كالنار بقولك إنها غشاشة . لَهْفِي عليها كانت أصدق من أبرار السماء .

عطيل : كاسيو ضاجعها . . اسألى زوجك عن ذلك ولولا هذا السبب الحقُّ لما فعلت فَعْلَتى إلا وأنا هالك إلى أدنى قاع جهنم .

إميليا : زوجى ؟ !

عطيل : بعينه .

إميليا : كان يعلم أنها غير متعففة لوليّها ؟ !

عطيل : نعم . . وأنها زَنَت مع كاسيو . على أننى لولا ذنبها هـذا لو أبدلت منها بالعالم وقد جمع إلى جوهرة واحدة ما رضيت .

إميليا : زوجى ؟ !

عطيل : نعم هو أول من أطلعنى على سرها وإنهُ لرجل صالح يكره الحَمْأة التى تعلقُ بالأعمال السيئة .

إميليا : زوجى ؟!

عطيل : ما معنى هـذه الإعادات .. قد قلت لكِ يا امرأة إنه زوجك .

إميليا : يا مولاى إن الغدر قد قامر الغرام مقامرة خديعة .. أزوجى الذى قال إنها فاسقة ؟!

عطيل : هو نفسه يا امرأة . زوجك نفسه أفهمت ؟ صديقى زوجُك ياجو الوفىّ المخلص .

إميليا : إن كانت هذه وشايتَه فليتَ نفسَه الشريرة تتعفّن كل يوم مرّة . إنه كَذَبَ من صميم فؤاده وإنها كانت مجنونةً حبًّا بالبشع المخيف الذى اختارته بعلا .

عطيل : الله !

إميليا : افعلْ كلَّ فظيعة بعد الآن فإن نفسك لا تستحق النعيم بأكثر مما كنت تستحقها عروساً لك .

عطيل : أولى لك السكوت .

إميليا : ليس عندك من الاقتدار على الإيذاء نصفُ ما عندى من الجلد يا أيها المخدوع يا أيها الأبله . لقد ارتكبت جريمة ... لا أخاف سيفك وسأكشِفُ أمرك حتى لو كانت لى عشرون حياةً وفقدتها . الغياث الغياث . المدد المدد ، المغربى قتل مولاتى . على القاتل على القاتل .

(يدخل منتانو وغراتيانو وياجو)

منتانو : ماذا جرى أيها القائد ؟

إميليا : أنت يا ياجو حضرت . لاجرم أنك أحكمت سيرك فجعلت الناسَ يُلقُونَ عليك تبعاتِ آثامهم .

غراتيانو : ماذا جرى ؟

إميليا : كذّب هذا المجرم إن كنت رجلاً . يقال إنك وشيت عنده فى امرأته وأعلم أنك لم تفعل ولستَ ذلك الأثيم ... تكلم لأن قلبى فائض بما فيه .

ياجو : قلت له ما كنت أعتقد ولم أزدْه على ما تحقق بنفسه .

إميليا : ولكن أذكرت له مرة أنها غير مستقيمة .

ياجو : نعم .

إميليا : كَذَبْتَ عَلَى الله وعليه كذِباً قبيحاً مُهلِكاً للنفس .
أهى اقترفت إثماً مع كاسيو ، أقلت مع كاسيو ؟

ياجو : مع كاسيو يا قوّادة ، اقطعى هذا اللسان .

إميليا : لا أقطعه وسيدتى هنا مقتولةٌ فى سريرها .

الجميع : معاذ الله .

إميليا : ولم يرتكب هذا الجرم إلاَّ بناءً على سعاياتك .

عطيل : لا تدهَشوا يا سادة هذا هو الحق .

غراتيانو : أمر غريب .

منتانو : عمل فظيع .

إميليا : مكيدة مكيدة مكيدة . شعَرْت بها من قبل
وما صدقت . يا للمكيدة يا للمكيدة سأموت غمًّا .

ياجو : أأنت مجنونة عودى إلى البيت .

إميليا : يا سادتى ائذنونى بالكلام ، يجب أن أطيعه أما الآن
فلا ولعلّى لن أعود أبداً يا ياجو .

عطيل (يسقط على السرير) : آه آه آه .

إميليا : نعم تقلّب واجْأر لأنك قتلت أطهرَ وأرقّ بريئة رفعت عينيها إلى السماء .

عطيل (ناهضاً) : بل كانت زانية — لم أعرفك قبلاً أيها العم . هنا كريمة أخيك مضطجعة وهتان هما اليدان اللتانِ أخمدتا أنفاسَها وأعلم أن هـذا العملَ فظيعٌ شديدُ القسوة .

غراتيانو : يا لها من مسكينة . أحمد الله أن أباها سبقها من فَرْط الحزن الذى مزقَ نسيج حياته ولو كان الآن حيًّا لدفعه هذا المصاب إلى عمل هائل من أعمال اليأس يطرد به ملكَ الرحمـة من جانبه ويستنزل عليهِ لعنةَ ربّه .

عطيل : هذا محزن فى الغاية ولـكن ياجو يعلم أنها ضاجعت كاسيو ألف مرة وكاسيو اعترف بذلك وقد كافأته على أعماله الغرامية بأن أعطته ما أهديته إليها فى أوائل أيام الحب بيننا دليلا على شغفى بها وإخلاصى

لها ثم إنى رأيت هديتى فى يده وهى منديل كان أبى قد أهداه إلى والدتى .

إميليا : يا إله السماء !

ياجو : اخرسى .

إميليا : لا بد من إظهار الحقيقة أأسكت أيها السادة ، لا لا ، سأتكلم بطلاقة ريح الشمال . السماء والناس والزبانية كلهم كلهم كلهم يصيحون بالعار علىّ إذا لم أتكلم .

ياجو : تعقلى وارجعى إلى البيت .

إميليا : كلا (يهجم ياجو عليها ليضربها بخنجره) .

غراتيانو : عَيْبٌ رفعُ السلاح على امرأة .

إميليا : يا أيها المغربى البليد ، المنديل الذى تذكره وجدتهُ أنا بالمصادفة وأعطيته لزوجى لأنهُ كان كثيراً ما يُلحّ علىَّ بسرقته وكنت أتعجب من شدة اهتمامه بتافهة كهذه .

ياجو : يا للمومس الجانية !

إميليا : أعطته لكاسيو — كلا — واحسرتاه أنا التى وجدته ضائعاً وأعطيتهُ لزوجى .

ياجو : تكذبين يا قذرة (يطعنها ويهرب) .

إميليا : بالله العظيم لا أكذبُ يا سادتى (إلى عطيل) ويحك من قاتل أبله ما كان لأحمقَ مثلكَ أن يعايشَ حوراء كهذه .

عطيل : أليس فى السماء حجارةٌ غيرُ التى تستخدم للصواعق ، يا للمجرم الذى يَفوق دهاؤه كُلَّ تصوّر .

غراتيانو : هذه المرأة تميد . سقطتْ . قتلها ولا شك .

إميليا : نعم انقلونى إلى جوار سيدتى .

غراتيانو : لقد هرَب .

منتانو : هو مجرم بلا مراء — خذوا هذا السلاح الذى نزعتهُ من المغربى واذهبوا لحراسة الباب الخارجى ولا تدعوه يجتازه أو تقتلوه أما أنا فسألحقُ بذلك المجرم . إنهُ لعبد هالك النفس (يخرج) .

إميليا : علامَ كانت تدل أنشودتك ياسيدة . أصغى . أسامعة .

سأموت متغنية ، الصفصافة الصفصافة الصفصافة ،
أيها المغربى كانت طاهرة . كانت تحبك أيها القاسى .
ليت نفسى تنجو بمثل ما أقول الحق وأصرّحُ عما
فى ضميرى ، أموت أموت (تموت) .

عطيل : عندى سيف آخر فى هذه الغرفة . سيف إسبانى ماضٍ
مجوهر ها هوذا — يا عمّ يجبُ أن أخرج .

غراتيانو : إذا حاولت الخروج جازفتَ فى عمرك ، لست مسلحاً
وقد تقع على ما تكره .

عطيل : إذن ارجع وتعال كلمنى وإلاَّ هجمتُ عليك مع كونى
أعزل .

(يدخل غراتيانو)

غراتيانو : ما تروم ؟

عطيل : انظر ، معى حسام مما لم يتقلد مثلهُ جندىٌّ ولقد شهدت
زمناً كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف
الوفى افتتح لى طريقاً بين عقباتٍ تربو عشرين مرة
على ما تتصور . ولكن يا للفخر الباطل ! من الذى

يخالف المقدور عليه . الآن أنا غير ما كنت فلا تخفْ ولو رأيتنى مسلحاً . هذا محط رحالى ومرْبِطُ شراعى وغايةُ سفرى — أتتراجع من الرعب — رعبك لا طائل تحته . وجّه خَيزُرَانةً إلى صدر عطيل وهو الذى يتراجع . إلى أين يستطيع عطيل أن يذهب الآن — أرينى كيف وجهك فى هذه الساعة؟! يالمرأة التى ولدت تحت طالع منحوس . إنك لصفراء بلون قميصك فإذا التقينا لدى محكمة الله فرؤيتك على هذه الصفة تكفى لإسقاط روحي من السماء فيلتقطُها الزبانية — هامدة يا بنيتى ، قريرة كطهارة نفسك . ويل للشحاذِ اللعين . أيها الشياطين اطردُونى ضرباً بالسياط من أمام هذا النور السماوى واقذفوا بى أتقلبْ وأتدهورْ بين العواصف بلا استقرار ، أغلونى فى النفط ، دحرجونى إلى أعماق بعيدة من النار السائلة . أى ديدمونه لقد متِّ متِّ آه آه ...

(يدخل لودوفيكو وياجو وكاسيو)

لودوفيكو: أين ذلك الشقى المختبل ؟

عطيل : الذى كان عطيلا ؟ هأنذا ...

لودوفيكو: أين ذلك الثعبان ؟ هاتوا ذلك المجرم ...

عطيل : أتفرّس فى رجليهِ ! هذه أعجوبة من خُرافات الأولين . إذا كنت شيطاناً فلن أستطيع قتلك .

لودوفيكو: انزعوا منه سيفه .

ياجو : جرحت يا سيدى ولكن لم أمت .

عطيل : أريد أن تعيش لأن الموت سعادة .

لودوفيكو: أى عطيل الذى كنت عنوانَ الفضائل واستسلمت لمكايد هذا الشحاذ الهالك بأى اسم ستسمى ؟

عطيل : ليسمّونى كما يشاءون إن أنا إلاَّ قاتلٌ شريف لأننى لم أفعل فعلى عن حقد بل دِفاعاً عن الشرف .

لودوفيكو: هذا الحقير اللئيم اعترف بجزء من جريمته . أكنت متواطئاً معه على قتل كاسيو ؟

عطيل : نعم .

كاسيو : يا قائدى العزيز لم أفعل قط ما يسوءك .

عطيل : أنت صادق وألتمس منك الصفح . أتريد أن تتفضل وتسأل هذا النصف الشيطان لماذا سحر عقلى وجسمى كما فعل ؟

ياجو : لا تسألونى شيئاً فقد علمتم ما علمتموه وبعد هذه اللحظة لن أنبسَ بكلمة .

لودوفيكو: حتى ولا للصلاة !

غراتيانو : إن التعذيبَ سيفُضُّ فاكَ .

عطيل : هذا هو العمل الصالح المفيد .

لودوفيكو: أيها السيد يجب أن تعلمَ من بقية المسألة مالم تزل تجهله فيما أظن . هذا كتابٌ وجد فى جيب ردريجو الذى قتل وهذا آخر ومن أحدهما يؤخذ أن مقتل كاسيو كان منوطاً بردريجو .

عطيل : يا للمجرم ! !

كاسيو : يا للعمل الشنيع الذى لا يعمله إلاَّ وَثنَى .

لودوفيكو: وهذا كتاب آخر وجد فى جيبه كان فى عزم ردريجو

على ما يظهر أن يرسله إلى هذا الأثيم الهالك غير أن ياجو لقيه قبل إرساله وتمكَّن من تهدئة خاطره .

عطيل : ويحك أيها الشقي المؤذي — كيف وجد بيدك ذلك المنديل الذى كان لامرأتى يا كاسيو ؟ !

كاسيو : وجدته فى غرفتى واعترفَ هو نفسه منذ هنيهة أنه كان ألقاه بيده فيها لقصدٍ ما .

عطيل : يا مجنون يا مجنون يا مجنون .

كاسيو : ويظهر عِلاوةً على ما ظهر من كتاب ردريجو أن ياجو هو الذى كان باعثه عَلَى التحرش بى فى ليلة الحرس . ومن هذه الحادثة نجَمَ عزلى . ثم ظهر أيضاً منذ قليل بإقرارٍ من نفس ردريجو الذى تكلم بعد أن ظن ميتاً أن ياجو هو الذى دفعه إلى قتلى وياجو الذى ضربه بخنجره لِيُجْهِزَ عليه .

لودوفيكو: يجب عليك تركَ هذه الغرفة واللَّحاقُ بنا فقد استرددت منك إمارة الجند وحكومة قبرس وقلَّدها كاسيو مكانك . أما هذا المجرم المتفنن فمهما نجد

من ضروب التعذيب لإيلامه أبعد ما يكون أجلاً فهو ما سنعذبه به . وأما أنت فتبقى سجيناً إلى أن يعلم أمرك فى البندقية . هلموا اقتادوه .

عطيل : رويدكم أقل كلمة أو كلمتين . لقد خدمت البلاد بعض الخدم ويعرفونها فلا أُطيل عن هـذا القدْر فى هذا المعنى . ولكن أرغب إليكم حينما تقصون قصتى فى رسائلكم أن تذكرونى بحقيقتى لا بمزيد ولا بنقصان وألّا تدخلوا فيها شيئاً من المكر السيئ فإذا فعلتم ذلك وصفتم حال رجل لم يعشَقْ بتعقّل ولكنه كان خالصَ السريرة متجاوزَ الحد فى حبه ، رجل دافع الغيرةَ عن نفسه جَهْده فلما تمكّنت منه تمادَى فيها إلى النهاية ، رجل غلب الأسى عينيه على أنهما لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتا من الدموع أغزرَ ما تنضحه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافى . هكذا أرجو أن تصفونى وأضيفوا إلى ما تقدّم أننى عندما كنت فى حلب وأهان أحد الأعداء رجلاً من

البندقية وثبت به وجعلت يدى فى عنقه وضربته ...
هكذا (يضرب نفسه) .

لودوفيكو: يا للختام الرائع .

غراتيانو : قد تلاشى كل ما كنا فى تدبيره .

عطيل (زاحفاً نحو سرير ديدمونه) : لقد قبّلتك قبل مماتك والآن لم يبقَ لى إلَّا أن أموتَ فى قبلة .

كاسيو : كنت أخشَى هـذه النهايه لكننى لم أظنَّ أن معه سيفاً .. قضَى وكان قلبُه كسيراً ..

لودوفيكو: أين كاتبُ إسبرطة . يا أقسَى من الألم والجوع والبحر . انظر هذه الجثثَ الطاهرة المتراكمة على هذا السرير . هذا عملك . منظر يَنْفُثُ ناقِعَ السم فى الأبصار فألقُوا عليه غطاء — أى غراتيانو احرس البيت وتسلم تركة المغربى فهى إليك — وأنت أيها السيد الوالى تحكم فى عقاب هذا المجرم الجهنمى بما تشاء . اضرب لذلك أجلاً وعيّن مكاناً واختر

A.U.B. LIBRARY

DATE DUE

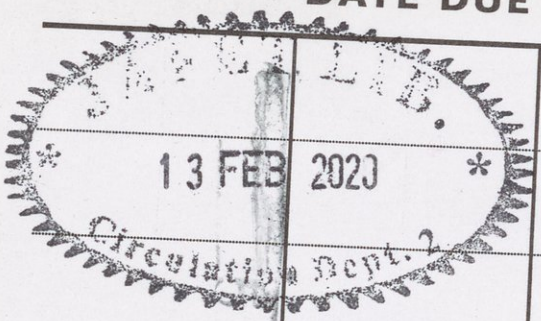

AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00462093